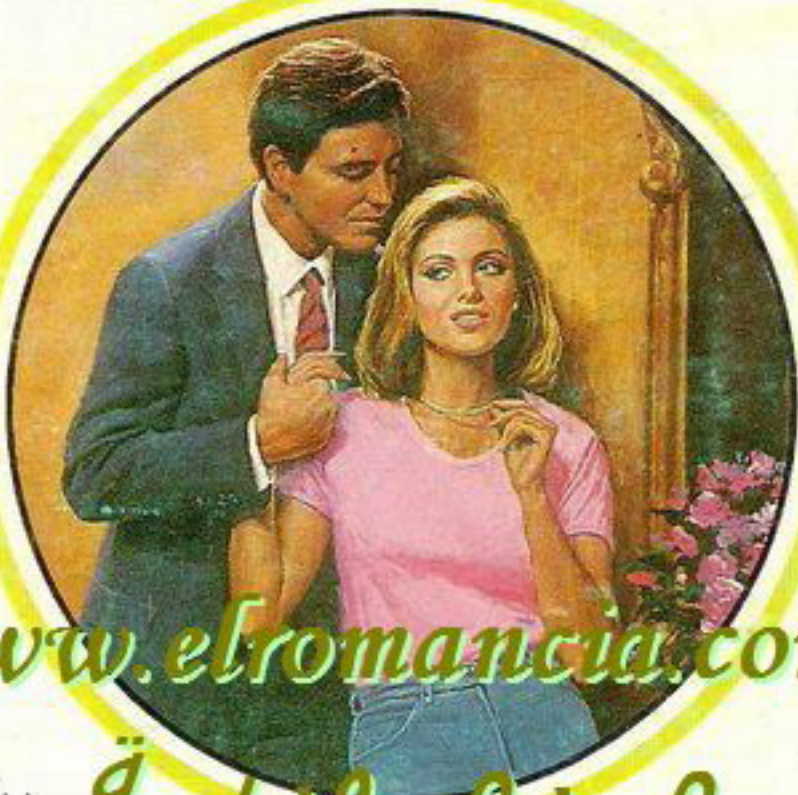


روايات عبير



جودي هوير

الخطيب الغادر



www.elromancia.com

٣١١

مرمورية

روايات عبير

ABIR - No 311

الأسمر الوسيم

ولم تلبث أن نامت .
رأت في المنام أطفالا يحتفلون في قصر "كيلين"، وضاق قلبها
بقلق غامض ، وراحت تهيم في الأروقة اللامتناهية للقصر المنيف ،
وبعيدا، بعيدا جداً ، جاءها صدى الحفلة يكتمه الريح .
اختفى جميع الأطفال الآخرين وهم يلعبون لعبة الاستخفاء .
وفجأة ظهرت يد في الظلام وأمسكت بها
وهتفت "برو" : من أنت ؟
أجابها صوت ساخر : أنا العفريت !!
وأطبقت شفتان محمومتان على شفتيها ...

ثمن النسخة

Canada	5 \$	ج ٣	مصر	١ د	الكويت	٣٠٠٠ ل	لبنان
U.K.	1.5 £	د ١٥	المغرب	١٢ د	الإمارات	١٠٠ ل	سوريا
France	15 F.F	د ١	ليبيا	١,٥ د	البحرين	١,٥ د	الأردن
Greece	1200 Drs.	د ١,٥	تونس	١٢ ر	قطر	٢ د	العراق
Cyprus	1.5 P.	ر ٥٠	اليمن	١,٥ ر	مسقط	١٥ ر	السعودية

تقديم

في لحظة عاصفة راته...
كانت السيارة تمضي بها - هي وخطيبها - في لحظة نادرة من
السعادة الدافقة ...
وفجأة راته ، واول إحساس احست به نحوه كان الكراهية ...
لكن هذا الإحساس تبدل شيئاً فشيئاً ..
وحل محله الود ..
ثم الحب ...
لكن ... خطيبها ...
حائرة بين خطيبها ، وحبيبها الذي ظهر في حياتها بطريقة غير
متوقعة وتلعب الأحداث لعبة القدر ..
من ستختار؟ وماذا عن ظنون الماضي ؟
سوف نعرف الإجابة مع آخر كلمة في هذه الرواية الشيقة .

الفصل الأول

- أنت لا تقولين شيئا .

كلا . لم تقل " برو " شيئا . بل إنها لم تسمع كلمات " دافيد " من فرط استغراقها في تأمل المناظر التي تمر أمام عينيها . كلما اقتربا من نهاية رحلتها أحست بالبرودة والحزن يغمرانها . لعله كان يجب أن تعترف لـ " دافيد " بما يجول في خاطرها ، ولكن اعترافها ذلك ، وانها لا تزال على قيد الحياة ؛ ما كان إلا ليبدو خيانة لها . والغريب أن ذلك الاعتراف ، بعد مرور ستة أشهر على وفاتها كان يبدو بعيدا عن الوفاء أيضا .

حرك " دافيد " يده أمام عينيها وقال :

- أوه ... أوه ... أنت لست معي .

- معذرة . كنت أفكر .

وابتسمت له لكي تطمئنه ، وكانت قد أصرت ، عند الإعداد لهذه الرحلة إلى أوروبا ؛ أن تتوقف في " يور كشاير " ، لزيارة أبيها . واحترم " دافيد " إرادتها ولم يعترض . ولكن الماضي كان قد مات

شخصيات الرواية

" برونيللا اللارديس " : شابة في الثالثة والعشرين من عمرها ، جميلة ، عاشت عشر سنوات من عمرها في استراليا ، بعيدا عن مسقط رأسها إنجلترا نتيجة انفصال والدها " جيمس " عن والدتها " سوزان " ثم تعود بعد السنين الطوال لزيارة أبيها ...
" دافيد هينلي " : خطيب " برو " ، شاب في مثل عمرها ، سليل أسرة ثرية نشأ مدللا لا يتحمل المسؤولية ، ويتحمل نتيجة هذا عندما يرقد في المستشفى بعد حادث تصادم كاد يؤدي بحياته .
" جوش كيلين " : شاب في الخامسة والثلاثين من عمره ، ساحر المظهر غامض الطباع ، انقذ " برو " وخطيبها " دافيد " من الموت ... ويتحتم عليه مواجهة شكوك " برو " وظنونها السيئة ..
وعليه أن يقنعها ، ويستعيد ذكرياته معها

بالنسبة له ، والحاضر وحده هو المهم الآن . وفكرت ... هذا ما يستمليني فيه ، فهو يواجه الحياة ببساطة ومرح . وباله من تناقض مع أم "برو" التي قضت حياتها في اجترار احقاد قديمة .

- اما زال المكان بعيدا ؟ يخيل إلي اننا ننتقل منذ اسابيع .
- لم يعد هناك غير بضعة كيلومترات .
ومرا بعلامة من علامات الطريق ايدت كلمات "برو" .
- انت على حق . ثلاثة كيلومترات - بالضبط - تفصلنا عن هالوز كروس " يا له من اسم غريب !
- ثم إن فيه تلميحاً .
واحست "برو" فجأة بانها اكثر مرحة . وسالها :
- كيف ذلك ؟
- كانت القرية معروفة في البداية باسم " جالوزكروس " .. أي صليب المشنقة .
- لا تقولي لي إنه كانت هناك مشنقة في الميدان بالذات .
- بلى . غير أن القرويين ، في العصر الفيكتوري ؛ صمموا على إزالة هذه الذكرى البغيضة ، وغيروا اسم المكان .
- هذا افضل .
لم يسع "برو" إلا أن تطلق ضحكة مرحة . وابتعدت شعرها الأشقر الطويل الذي يتطاير مع الهواء ، وتحولت إلى خطيبها . ما اشد سمرته . فمن فرط حياته تحت شمس استراليا طوال السنة اكتسب تلك السمرة التي تنسجم تماما مع الانعكاسات الذهبية لشعره ، وساعد البلاج والتجديف والسباحة والنزهات في اليخت على رشاقة جسمه الرياضي المشموق .
تنهدت "برو" . كانت استراليا بعيدة . بدأت تشعر بدوار البحر . هناك ، كان الربيع ، فصلها المفضل . وهما يهبطان إنجلترا وجدا المطر ورياح الخريف ، وعلى تلال يوركشاير ، كانت النباتات الشائكة ، لا تزال وليدة ، ولكن السرخسيات كانت قد اتخذت لونا نحاسيا اصفر .
كان المنظر يعطي الوانا مختلفة ، على خلفية من القماش الشاحب .

كما لو انها محاطة بضباب تشويه زرقة وخضرة تتعاقبان . وديان معتمة وتلال رائعة حلوة الالوان ترعى فوقها بعض الخراف في هدوء . لم تر "برو" هذا الريف منذ الثالثة عشرة من عمرها . ومع ذلك فقد كان لا يزال مائلاً في ذهنها . ضاق قلبها من الانفعال ، وحاولت أن تأخذ نفسها بانتظام ، ولكن كلما اقتربا من بيتها القديم جف حلقها . كيف سيستقبلونها ؟ . كانت هذه الفكرة تلح عليها منذ عدة ايام .
- فيم تفكرين ؟
تجمدت نظرة "برو" على "دافيد" وقالت :
- اوه .. ليس في شيء مثير .
وفي حنان ، وضع يده على الفتاة الشابة وقال :
- هل تندمين على المجيء يا "برو" ؟
وغاصت عيناه شديدا الزرقة في عيني خطيبته . واستولى عليها حزن فجائي ، وهزت كتفيها . شد ما يعرفها ! كان هذا السؤال هو الذي تتوقعه منه بالذات .
وانحنى لكي يقبلها .
- لا تنزعجي . سيمر كل شيء على احسن ما يكون . هدئي من روعك واقنعي بتقبلك الحياة كما تاتي .
لم يسعها ، اماما هدوء "دافيد" ؛ إلا أن تضحك . واجابها بابتسامة عريضة ، مفارقاً الطريق ببصره لحظة .
وعندئذ ، فجأة ظهرت امامها سيارة . و مر كل شيء بسرعة ، حتى أن "برو" لم تدرک شيئاً ، ففي لمح البصر رأت سيارة حمراء ، وسمعت تنبيهها طويلاً ، وصرير عجلات ، ولمحت عيناها الزائغتان السائق الآخر في آخر لحظة . . كان ذا وجه قاس ، في إطار من الشعر الأسود المتطاير . ولحسن الحظ ، كان "دافيد" قد ادار عجلة القيادة وحذا السائق الآخر حذوه . بدا كأن الخطر قد ابتعد عندما ادار "دافيد" عينيه هلعاً ، وفجأة وقع الاصطدام ، فعلى بضعة امتار امامهما ارتفع جدار صخري ، ولم تستطع السيارة أن تتفاداه ، فتحطمت في عنف في فرقة من الحديد المحطم والزجاج المنثور .
صد حزام الامان "برو" ، وإن كانت قد ارتجت من كل ناحية .

ارتطمت بالباب وواقية الزجاج ، وبقيت أخيراً جامدة مصدومة . كان الإغراء كبيراً في أن تترك نفسها تغرق في فقدان الشعور ، ولكنها فكرت في "دافيد" ، واعتدلت شاحبة . كان جسد خطيبها الجامد عن الحركة جاثماً فوق عجلة القيادة ، وشظايا من الزجاج تلمع فوق ركبتيه ، وخيط من الدم يسيل على خده .
- "دافيد" !

تخلصت من حزام الأمان ، ممتعة الوجه ، وارتعشت يداها . ولكن بينما هي تتحرر وتنحني فوق "دافيد" ، انفتح الباب في عنف ، وأحست بشخص يمسكها من خصرها ويخرجها من السيارة . وتملكها الذعر ، وحاولت التخلص من الرجل ، ولم تلبث أن وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام قائد السيارة الأخرى ... كان الوجه القاسي الملامح الذي لمحته قبل الحادث بلحظات على بعد سنتيمترات الآن من وجهها .
- لا تهتم بي ، فليس بي شيء . أخرى بك أن تخرج "دافيد" من السيارة إذ يبدو أنه مصاب بجرح خطير .

وحاولت التخلص منه بكل قوة ، ولكنها لم تستطع . كان الرجل أقوى منها ، ومن غير أن يعبا بضربات قدميها أو باحتجاجاتها ، رفعها ليبعداها عن السيارة واستطاع أن يحملها بعيداً بعض الشيء .
- "دعني" . إنني أستطيع أن أمشي وحدي . ولكن امض وانقذ "دافيد" بالله ! ماذا تنتظر ؟

كانت تصرخ بحيث لم يسعه إلا أن يطيعها ، فالقاهما دون مراعاة ، فوق ردم من التراب يكسوه نبات الخلنج بحيث خدش يديها وساقيها . واطلقت صرخة ألم ، ولكنه لم يعبا بها ، وتقدم بخطى واسعة نحو السيارة ، ورائته "برو" ، والخوف يعصف بقلبها ، يرفع أحد معصمي "دافيد" ، ولا يرب أنه كان يحاول جس نبضه . وبعد بضع لحظات ترك معصم الجريح وابتعد عنه . وبدأ يدور حول السيارة بعد ذلك ، ثم راح يفحص المحرك بكل دقة .

استشاطت "برو" ، وحاولت أن تنهض ، وهي لا تزال مدهولة :

- ماذا تفعل بحق السماء ؟ ... لا خطر على السيارة .

صغ الغضب وجهها ، وكان رده الوحيد هو أن رماها بنظرة سوداء

شرسة

- من الأوفق أن تجلسي قبل أن تقعي .

وكان صوته امرأة ، فاذعنت وقالت :

- ان تخرج "دافيد" من السيارة ؟

اجابها صوت هادئ :

إنه فاقد الوعي ، ومن الأوفق ألا نحركه مادامنا لا نعرف خطورة حالته .

- ولكن من الخطر تركه في السيارة ، فقد تنفجر .

- ليس هناك أي تسرب للبنزين ، فقد فحصت الخزان ولم يصبه شيء . كل ما في الأمر أن الصمام أصيب ببعض التلف ، والمحرك ، سليم ، ولا اعتقد ...

- وفيم يهمني كل هذا ؟ ... ما مدى إصابة "دافيد" ؟

ومضت عيناها الخضراوان الملتهبان في وجهها الشاحب المتعب ببريق محموم . ونظر الرجل إليها في برود وقال :

- يبدو أن نبضه عادي .

- ولكنه مغمى عليه ، وانت لست طبيبا . واعتقد انه لا بد من نقله

إلى المستشفى بأسرع وقت . ساعدني في العثور على تليفون ... أرجوك . إننا نضيع وقتاً ثميناً ... امض بي إلى أقرب كشك للتليفون .

- لقد أخطرت مستشفى المنطقة . وستأتي سيارة الإسعاف ما بين لحظة وأخرى .

حد جته "برو" مشدوهة وقالت :

- ولكن متى ... وأين ... اتصلت هاتفياً ؟

- عندي تليفون في سيارتي .

نطق الرجل بعبارته تلك في لهجة طبيعية جداً . ولم يكن هذا الاحتمال قد خطر على بال "برو" . واحست بالارتياح عندئذ .

- ألا تجلسين وتهدئين ؟

كان أمراً أكثر منه دعوة . وانصاعت "برو" ، ومن جديد اقترب الرجل من "دافيد" لكي يتحقق من حالته الصحية . وكانت "برو" لا تزال

تعاني اثر الصدمة ، وتشعر بضعف . كان جسدها كله يشله برد شديد ، ولكنها لم تفقد شيئاً من كراهيتها للرجل الذي يوليها ظهره الآن ، فإن طريقته القاطعة في الكلام ، وتصرفه الجاف ، كل ذلك لم يرق لها . فضلت أن تتجاهل وجوده . ولكن شيئاً منعها من عدم التفكير فيه ، فإن هيئته لم تكن غريبة عليها ... ما لم يكن صوته لعل لهجته الإنجليزية الباردة والمتعجرفة توقظ ذكريات قديمة هاجعة في طفولتها . لا ريب أنه يقيم في الجوار . وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب أنها التقت به وهي صغيرة ولكنها لم تحتفظ بآية ذكرى محددة ، في حين أنها تذكر عدداً كبيراً من أهالي المنطقة . ورمته بنظرة فاحصة : طويل القامة ، ورشيق و طويل الساقين ، وشعره أسود بلون الأبنوس ، ووجهه طويل ودقيق ، وفمه عريض عنيد ، وحتى وإن كان لا يتسم بجمال كلاسيكي ، فقد كان من الممكن أن تجد فيه سحراً ، ولكن تلك القسوة وتلك العجرفة الزائدة منعناها من ذلك .

قطبت حاجبها فجأة . وركزت على الذكرى المتهربة التي مسّت ذاكرتها ولكنها في هذه اللحظة بالذات ، حيث اعتقدت أنها اهدت إلى أثر ، تحرك "دافيد" ورائته يرفع يده إلى وجهه ، كما لو كان يطرد الألم . وافلتت من بين شفثيه أنه ضعيفة ، فانحنى الرجل فوقه وقال :

- بماذا تشعر ؟

جمعت "برو" القليل من القوة التي تبقت فيها وحاولت أن تقف . كان يجب أن تكون على مقربة منه حتماً ، عندما يعود إلى رشده ، وإلا تملكه الخوف من أجلها ، ثم إن وجه الغريب قد يثير فزعاً . ستكون صدمة عنيفة له وهو في حالته تلك .

- ماذا حدث ؟

لم يكن صوت "دافيد" بأكثر من مجرد همس يكاد لا يسمع .

- وقع لك حادث ، ولكن اطمئن ، فجرحك ليس خطيراً .

- أوه نعم .. إنني أتذكر .

وقال فجأة في قلق : ولكن "برو" ... أين برو ؟ ...
اقتربت من السيارة في خطوات مترددة . ولكن قبل أن يتمكن "دافيد"

من رؤيتها كان قد اطبق عينيه . وسمعت ، وهي تفحص وجه خطيبها الشاحب : صوت سيارة الإسعاف فترنحت وقد اجتاحتها برد فجائي . ووضع الرجل نراعه حول كتفها ليسندها وقال :

- ومع ذلك فقد قلت لك لا تتحركي .

توترت "برو" كل التوتر إزاء خشونة صوته وقالت :

- أوه ... أنت السيد العارف بكل شيء !

كتم الرجل ابتسامة وقال :

- هل أنت عدوانية هكذا دائماً ؟ .. أو لعلها طريقتك في أن تتمالكي نفسك بعد الصدمة .

توقفت عربة الإسعاف على بعد مترين . وهبط منها رجلان واقتريا وهما يعدوان . ومضى أحدهما بسرعة إلى "دافيد" . أما الآخر فقد اقترب من "برو" والرجل الأسمر ، وحياه هذا الأخير قائلاً :

- سلاماً يا "فيل" !

ورد الرجل على تحيته بابتسامة ودية وقال :

- يبدو أنك أنت الذي اتصلت بنا يا "جوش" ، وقد رأينا سيارتك ، وليس بها شيء ماذا حدث ؟

- حسن . تصور أن ذلك الرجل كان منطلقاً بكل سرعة وسط الطريق ، وأنني أوشكت أن اصطدم به . غير أنني نجحت في تفاديه بمعجزة . ولكنه انطلق بعد ذلك واصطدم بالجدار . وعدت عندئذ واتصلت بالخدمات العاجلة . ثم خففت لمساعدتهما . هذا ما حدث .

صاحت "برو" غاضبة :

- نعم ... هذه هي آخر مفاخر "السوبر مان" .

حدجها الرجلان وقد انهلتها لهجتها اللاذعة . وضح رجل الإسعاف بالضحك . أما الرجل الآخر فلم يتحرك . وقال ذو الثياب السوداء :

- كانت في السيارة هي الأخرى . ولعل من الواجب أن تفحصها يا "فيل" ، فإني أظن أنها ما زالت تعاني اثر الصدمة مارس رجل الإسعاف مهنته ، ومضى مع "برو" حتى سيارته ، وجعلها تتمدد فوق محفة ، حيث بدأت تشعر بالدفء تحت اغطية سميكة . ثم اهتم بعد

ذلك بدافيد ، فنقله إلى عربة الإسعاف . ونهضت 'برو' شيئاً ما لكي تنظر إليه ، ولاحظت أنه لا يزال مطبق العينين ، لاريب أنهم سيجرون له عملية نقل دم . وعضت على شفتها حتى ادمتها . كان الأمر خطيراً إذن ، لاشك أنه فقد الكثير من دمه . لم تكن قد لاحظت حتى الآن الجرح الذي برأسه ، ولكنها ترى الآن بقعة حمراء فوق قميصه . وقالت تسال في جزع :

- هل إصابته خطيرة ؟

اجابها الرجل بالنفي . ولكنها لم تصدقه . واغلق عليها باب العربة ، وأولى الرجل 'دافيد' اهتمامه ، ولم تستطع أن ترى ما يفعل . واستبد بها الخوف ، وراحت دموع صامتا تجري على وجنتيها .

وإذا مات ؟ ... كيف يمكنها أن تنقل النبا إلى اهله . كانوا دائما عطوفين عليها ، مترفقين بها لا سيما بعد موت امها . إنها هي التي استمالت ابنهم حتى آخر الدنيا ، وهي التي دفعته إلى المجيء إلى 'نيوركشاير' ، في حين أنه كان يؤثر البقاء في لندن أو زيارة 'باريس' . ولكنه جاء إلى هنا إرضاء لها ، إرضاء لها هي بالذات . كيف يمكن لأهل الشاب أن يغفروا لها ؟ ثم هي نفسها ... كيف تبقى على قيد الحياة بعد ذلك ؟

وما إن وصلوا إلى المستشفى حتى نقلوهما فوراً إلى قسم الخدمات العاجلة . واسرع أحد الأطباء بفحص 'برو' ووجد حالتها مرضية . ولكن استحال عليها أن تستقي منه أية معلومة عن 'دافيد' .

وبعد نصف ساعة تقريبا عهد بها إلى مرضية ساعدتها على الاستلقاء فوق فراش . وحاولت الفتاة أن تستجوبها فقالت :

- أرجوك . قل لي أين مضوا بدافيد ؟ ... أنت تعرفين جيدا ... صديقي الشاب الذي جيء به إلى هنا معي في نفس الوقت يجب أن أراه وأن أعرف ما به .

- لقد نقل على الفور إلى غرفة العمليات .

كتمت 'برو' أنفاسها . ورات الممرضة ما ارتسم عليها من هلع ، فحاولت أن تشجعها بابتسامة وقالت :

- لاتجزعي . إنه في أيد أمينة . اظن أن جروحه - وقد سمعت أنه

ستجري له عملية بسيطة بدون تخدير وسينقل بعد ساعتين على الأكثر إلى فراش دافئ . وما إن تستردي قواك وتقفي على قدميك حتى يمكنك أن تتأكدي من حالته بنفسك .

- ولكن متى ساقف على قدمي ؟

- أما هذا فلا أستطيع قوله . كل شيء رهن بالدكتور 'ويلسون' . على أن ذلك لن يطول بكل تأكيد .

وبابتسامة واسعة انحنت أمام زائر أقبال ، وقالت تسالها :

- هل ادعه يدخل ؟

- من هو ؟

على الدم في عروق 'برو' ، ولكنها لم تلبث أن اغناظت من نفسها لهذا الإحساس الغريب . كان الزائر هو ذلك الرجل بالتأكيد . وكانت في العجالة لدخول المستشفى قد نسيته تماما . ليته كان من الذوق والكياسة فحسب لكي يخفي . لماذا عاد ؟ كان يجب أن تعترف بأنها تدين له بالكثير . ولكن الرجل اغاظها بشكل غريب . تاملت الممرضة ، وأشارت 'برو' لها على مضض بان تدع الزائر يدخل ثم اعتمدت بظهرها على وسائدها ، وانتظرت في قلق أن يفتح الباب .

ما سبب المجيء لزيارتها ؟ كان يجب أن يشك في أن زيارته لن تروق لها إلا إذا كان ذلك مجرد سمة مجاملة ! وقطبت حاجبيها وهي ترى أنها تبدو جاحدة من جديد .

تذكرت فجأة أنها يجب أن تتصل هاتفيا بابيها حتى لا يتملكه القلق . لا بأس . يمكن لزيارتها بالتأكيد أن يدبر لها ذلك ، فلا بد أن يكون خدوما في شيء على الأقل .

وعندما انفتح الباب على مصراعيه اجفلت ، فبدلاً من ذلك الذي كانت تتوقع أن تراه امامها ، رات رجلاً آخر ، متوسط العمر ، لشعره الكثيف انعكاسات فضية ، وبشرته التي لفحتها الحياة في الهواء الطلق تغزوها الغضون أكثر من ذي قبل . آواه . يا إلهي ! هاتان الكتفان المحدوبتان اللتان كانتا عريضتين وقويتين فيما سبق ... لقد مرت عشر سنوات .

- 'برونيللا' ... !!

- صباح الخير يا ابي .
تمتت بهذه الكلمات أكثر من أن تنطق بها . وبسطت إليه يدها في حركة خرقاء ، كما لو كانت تنتظر أن يشد عليها ، ولكنه انحنى فوق الفراش لكي يقبلها . وعندما تلامست وجنتاهما ، أحس كل منهما بالانفعال يغمره ، وخمنت 'برو' أن أباهما كان على حافة الدموع .
- لكم كبرت .

- بالتأكيد فانا الآن امرأة .
وأطلقت ضحكة بدت زائفة . كم من مرة تساءلت فيها كيف تتصرف عندما يلتقيان ، فمشاعرها نحو أبيها كانت جد معقدة . فقد كثرت فيها المشاحنات والمصادمات ، وتشابك فيها الحب والندم بطريقة مبهمة .
ترددت 'برو' كثيراً قبل أن تعقد العزم على المجيء إلى 'يوركشاير' .
أما كان يجدر بها أن تترك أباهما يقضي أيامه في هدوء بذكرياته الحزينة شيئاً ما في عهد مضى . ولكنها كانت مسوقة برغبتها الشديدة في زيارة أوروبا ثم إن إجازة لمدة أسابيع قد تساعدها على التغلب على حزنهما موت أمها .

- أحزنني أن أعرف أن أمك ... لا أستطيع أن أتصور أنها ماتت .
- وأنا كذلك !!

أحست 'برو' بالحيرة ، فذلك الرجل العجوز الحزين لا يمت بشيء إلى الذكرى التي احتفظت بها لأبيها . وقال هذا الأخير :
- إنني أتصور الصدمة التي لأبد تلقيتها ... وإذ يخطر لي أنك كنت وحيدة لمواجهة ذلك كان يجب أن تبعلني إلي ببرقية . وكنت ساحضر على الفور .

- كان يحيط بي كثير من أصدقائي كما تعلم . ثم إنني لا أظن على كل حال أن أمي ...

وأمسكت فجأة وقد عجزت عن إتمام عبارتها . أكان ذلك ضرورياً بعد كل شيء؟ كان أبوها يشك بالتأكيد في أن أمها ما كان يروق لها أن يحضر جنازتها .

أجفل . وإذ أدركت 'برو' أنها جرحته ، أحست بالندم ، ماذا تعرف عن حياة أبيها الجديد فيما عدا أنه لم يتزوج المرأة التي دمر زواجه

الأول من أجلها .
- كتبت لك يا 'برو' ، ولكنك لم ترددي علي أبدا ... أوه ، ليس هذا عتاباً ، ولكن شيئاً يؤرقني .. هل كانت تدعك تقرئين خطاباتي ؟
- نعم . من وقت لآخر .

ولم تكن هذه هي الحقيقة تماماً . فالواقع أن أمها كانت تستولي في أغلب الاوقات على خطابات 'جيم اللارديس' . وتمنع 'برو' من قراءتها ، ومن الرد عليه .

ولم تلبث الفتاة أن أدركت سريعا أن أمها تستخدمها سلاحاً ضد أبيها وأرادت أن تقاوم ، ولكن كيف تفعل ؟ إنها ما كانت تنطق باسم 'جيم' حتى تذرف أمها الدموع بغزارة ولهذا تركت الفتاة ذكرى أبيها تنبل في مخيلتها شيئاً فشيئاً . وبعد أن ماتت أمها عثرت على حزم رسائل مصفرة مخفأة في قاع درج ، وتوزعت عندئذ بين عاطفتين متناقضتين : رغبتها في رؤية أبيها من جديد ، وخشيتها من فشل لقاءهما . وبعد إمعان في التفكير صممت أخيراً على السفر إلى أوروبا .

- إنني حتى لم أعرف خطك .
وعند هذه الكلمات رفعت 'برو' عينيهما وحملت في عيني أبيها . شد ما تحير عندما تلقي الرسالة التي تخبره فيها بقومها وقالت :
- هذا طبيعي ، فقد مر وقت طويل .

ورسمت على شفيتها ابتسامة وقالت :
- لم أتصور أن نلتقي هكذا على كل حال .

- لعل من الأوفى أن يقع الأمر هكذا ، فقد غدت عصبياً من فرط الانتظار في البيت ، ورحت أترقب صوت محرك السيارة ، وكنت شديد الجزع ، حتى قبل أن أعرف بالحادث الذي وقع لك .
- أصفح عني .

وأحست ، من بقيقة لأخرى ؛ بحبها له يزداد ... هذا الغريب بدا لها مالوفاً جد .

واشدت بها اللهفة لكي تعيد توافقهما المفقود . وقالت :

- يؤسفني أنهم سبقوني .كنت أريد أن اخبرك بنفسي ، فإن الصدمة كان يمكن أن تكون أخف وطأة ، وماكنت لتجزع على الأقل لمصيري ، ففي اللحظة التي وصلت فيها ، كنت اتأهب للاتصال بك هاتفيا لكي اطمئنك قبل أن تبلغ البوليس للبحث عني في الأرض الشاسعة .

وارتسمت على شفثيها ، في شيء من الخجل ، ابتسامة وهي تقول :
- ما إن وصلنا إلى المستشفى حتى سألني موظف الاستقبال عن عنوان أقرب قريب لي . واطلنه هو الذي اتصل بك .

تردد لحظة قبل أن يرد :

- كلا . لم يتصل بي المستشفى .

أثار تردده فضول 'برو' فقالت :

- ومن إذن ؟

كانت تصر غير مدركة بسبب صمته . وقال أخيرا وهو يحول بصره عنها - 'جوش' !

وبدا عليه الضيق فجأة ... وفي لمح البصر عادت ذكرى واضحة ومؤلمة إلى 'برو' . كان أبوها يبذو عليه الضيق في كل مرة ينشأ فيها خلاف بينه وبين زوجته ، فما إن يخيم في الجو ظل مشاجرة ، حتى ترتسم على وجهه تلك الابتسامة المتباعدة اللامبالية ، ويحاول أن يغير الحديث أو يسارع بالانصراف من الغرفة ولكنه مع ذلك ؛ لم يكن يستسلم أبدا ... عنيد كما يمكن لأي رجل ضعيف أن يكون .

ولكن لماذا تجد 'برو' ذلك الضيق المتهرب في نظرة أبيها ؟ 'جوش' ... من يمكن أن يكون هذا الـ 'جوش' إذن ؟ ثم اتسعت عيناها مذهولة . ألا يمكن أن يكون هو ذلك الرجل ذا الثياب السوداء الذي تحدث مع رجل الإسعاف ؟

وإذ هز أبوها رأسه سألته :

- هل تعرفه ؟

هز أبوها رأسه ثانية . ومرت لحظة الدهشة الأولى . وحدثت 'برو' نفسها بأنه ليس هناك شيء غير عادي على كل حال في قرية صغيرة لأن الجميع متعارفون .

- كيف حال 'دافيد' ؟ .. أنتما مخطوبان ، اليس كذلك ؟
- أجل . كما شرحت لك ذلك في خطابي . سوف نقضي هنا بضعة أسابيع نزوة أخيرة قبل أن نتزوج ونستقر .
واكفهر وجهها وأردفت :

- لا تنفك الممرضات يقطن لي إنه سوف يبرأ سريعا . ولكنك تعرف مايدور في المستشفيات . لعلك تستطيع أن تسألهن ، فقد يكن أكثر صراحة معك .

- أعدك بأن أبذل كل ما في وسعي .

كان صوته رخيفا . وشد على يد ابنته بقوة . وخفضت 'برو' عينيها وعضت شفثها ، وسادت لحظة صمت طويلة . ولم يعد يسمع غير تككة الساعة الرتيبة القاسية . ورفعت رأسها وقد طرات على بالها فكرة فجأة وقالت :

- ولكن كيف عرف من أكون ؟ لا اعتقد أنني ذكرت له اسمي . ثم إنني لم أتحدث عنك .

أجابها أبوها بصوت مكتوم يتسم بالندم تقريبا :

- بل لقد عرفك .

- ولكن كيف أمكن هذا ؟ إنه لم يرني أبدا .

ولم ينطق الرجل هذه المرة . وانحنى كتفاه أكثر من ذي قبل . وحاولت أن تجمع ذكرياتها دون أن تفارقه بعينيها . وقالت في إصرار :

- يعرفني ؟ ومع ذلك لا أنكر أنني التقيت به .

والواقع ، أنها أحست منذ اللحظة الأولى ؛ بالغة غريبة ، ومثيرة للحيرة . وضايقتها هذا الإحساس دون أن تدري لماذا . وانتهى أبوها بأن جلا هذه النقطة الغامضة فقال :

- إنك أرسلت إلي صورة لك مع خطابك . وقد وضعتها في مكان ظاهر فوق مكتبي ، وراها 'جوش' .

تمتمت في شيء من خيبة الأمل :

- اه . إنني أفهم .

وضح كل شيء إذن . ولكن لماذا هذا الضيق الذي يشعر به أبوها ،

وتحفظه في الكلام :

- هل تذكرين مكتبي ؟ ... والمزرعة ؟

كانت نظرة "جيم اللارديس" مشوية بالحزن . وقال :

لا ريب أن كل شيء يبدو لك بعيدا جدا ومشوشا بعد عشر سنوات .

- إنني احتفظت ببعض الذكريات الرقيقة . أماكن أحببتها كثيرا ...

عرفتني ، والأرجوحة تحت شجرة التفاح ، ومخزن التبن ، والإسطبلات .

وابتسمت ثم قالت :

- أرجو ألا يحتفظوا بي سجينه هنا وقتا طويلا . فإن بي لهفة لأن

أرى كل هذا من جديد .

- إنني تكلمت مع الطبيب قبل أن أتى لرؤيتك . ويمكنك أن تعودني

إلى البيت غدا .

البيت ... عشت "برو" شفيتها . اتخذت هذه الكلمة في تلك اللحظة

رنة مثيرة استخدمها أبوها بطريقة آلية . ولكن المزرعة لم تعد

بالنسبة لـ "برو" ، منذ سنوات طويلة ...

- هل تغيرت المزرعة كثيرا ؟

اجابها "جيمس اللارديس" في فخر واضح :

- لم تتغير أبدا .

انتشعت "برو" فجأة ، لعلمها بأن أماكن طفولتها وذكرياتها ما زالت

حية .

- أما زلت تربي أغناما ؟

- أجل . فإن الأرض قاحلة لا تنفع لشيء آخر . فليس فيها عشب

يكفي للابقار . أما الأغنام فتجد ما يكفيها فوق هذه التلال . على أن

مزارعنا ليست جميلة كمزارع "أستراليا" ، وقطعاننا قليلة جدا ،

ولكنني أعتقد ، بهذه المناسبة ، أنك لم تعاشري مربي الغنم كثيرا في

"أستراليا" . ابتسمت "برو" أمام هيئة أبيها المستنيرة ابتسامه حزينة

وقالت :

- كلا ، إذا أردت الحقيقة ، فقد كنت أعمل في مكتبي في "سيدني" ،

ولم أر الريف أكثر من مرة أو مرتين خلال عشر سنوات .

- مهما يكن ، فلا بد أن الزراعة موضوع لا يهكم كثيرا .

اجابت "برو" بحماس صادق :

- بل إنها تهمني كثيرا .

- حقا . إلا تقولين هذا مرضاة لي ؟

- كلا بالتأكيد يا أبي . أكذب ؟ حدثني عن قطيعك . كم لديك من

الخراف ؟ لم يتردد "جيم اللارديس" ، وانطلق في حماس في تفسيرات

طويلة . وأعادت "برو" ترتيب وسائلها ، ونظرت إلى أبيها فاحصة

باحثة في وجهه العجوز عن آثار الرجل الذي عرفته من قبل . لشد ما

تغير . ومع ذلك ففي سباق الدقائق عاد "أبو طفولتها" إلى الظهور .

كانا قربيين جداً الواحد من الآخر ، في ذلك العهد ، ولهذا عاشت "برو"

مقابلة من صدمة الفراق والرحيل إلى أستراليا مع أمها .

أرهقت "سوزان" - بعد الانفصال - "برو" باعترافاتها المريرة

وشكاواها التي لا تنتهي .

كانت السنوات الأولى في ذلك المنفى البعيد شديدة القسوة على

الفتاة . كان لابد لها قبل كل شيء أن تعناد حياة جديدة تماما . وكان لا

بد على الخصوص من احتمال أن تجعلها أما مستحوذة تندم كثيرا

على ترك "إنجلترا" وأبيها .

ثم أعادت أمها حياتها من جديد مع رجل يدعى "هاري جرانت" .

ولم يكن هناك أي داع لـ "برو" لكي تشكو ، فقد كان رقيقا معها ولطيفا

دائما . وكان وجوده بالذات يحررها من العبء الذي يمنعها حتى ذلك

الوقت من أن تحيا حياتها ، وتعني به أمها . ومنذ ذلك الوقت وجدت

"برو" توازنها ، ولم تعد ذكريات طفولتها تشغل غير حيز ضيق بعيد

من ذاكرتها . ولكن كل شيء انقلب مع حادث الطريق الذي أودى بحياة

أمها وحياة "هاري" . ظهرت المرضة ، بادية الوجوم ، وقالت :

- أما زلت هنا يا مستر "الارديس" ؟ إنك تجاوزت الوقت القانوني

للزيارة . يجب أن تنصرف الآن ، ويمكنك أن تعود غدا صباحا

لاصطحاب ابنتك .

- وكيف حال خطيبها ؟

- كل شيء على أحسن ما يكون

كانت لهجتها نفس اللهجة التي تكلمت بها مع "برو" .

- هيا اتبعني يا مستر اللارديس ... إذا سمحت .
وخرج الرجل العجوز من الغرفة على مضض ، وهو يلقي نظرة
أخيرة على ابنته .

ومع ذلك فلم يكن هو الذي أقبل لاصطحابها في صباح اليوم التالي ،
ففي تمام الساعة العاشرة كانت تقف على أهبة الاستعداد ، مستندة
إلى النافذة ، تتأمل الأرض المترامية التي تهب عليها الرياح عندما
أبصرت سيارة حمراء تصعد الطريقة المؤدية إلى المستشفى ثم تتوقف ،
وتوترت على الفور ، فإن تلك الهيئة الداكنة التي تتقدم ... كان هو
تماماً - ... ماذا عساه يفعل هنا ؟ وجاعها الرد على سؤالها هذا بعد
لحظة . فقد انفتح الباب ، وظهر في الغرفة ، ودارت همسات بين
المرضى الآخرين وقال : أتيت لاصطحابك وامسك بحقيبتها
الموضوعة بجوار الفراش وهو يقول :

- لم يستطع أبوك المجيء بسبب حالة طارئة . فقد هربت بعض
الشيء في الطريق الكبير ، ولما كنت أنوي القدوم إلى المدينة فقد
عرضت عليه أن أنوب عنه .
أجبرت برو نفسها على الابتسام ، فمن جديد يقوم بدور البطل ذي
القلب النبيل ، ولكن لماذا يخاطبها دائماً بتلك اللهجة المتعجرفة ؟ إنه
قال : أتيت لاصطحابك ، كما لو أنه يرى فيها كتلة فظة . وقال وهو
يخرج بخطى سريعة :

- حسناً . اسرعي فإنني على عجل من أمري .
أضطرت برو إلى أن تجري تقريبا لكي تلحق به . وأسعفها الوقت
بالكاد لكي تودع المرضى الآخرين . والتفيا بالمرضة في الطريقة .
هل ترحلين يا آنسة اللارديس ؟ ... أخيراً ... سوف نلتقي
قريباً ؛ عندما تاتين لزيارة خطيبك .

توسلت برو إليها قائلة :
- أرجوك .. هل أستطيع أن أراه الآن حالاً ؟
- إنه نائم الآن لأنهم أعطوه مسكناً . يمكنك أن تاتي غداً بعد الظهر .
إن موعد الزيارة من الثالثة حتى السادسة .
وانتقلت عينا الممرضة الصافيتان إلى الرجل الذي يحمل الحقيبة ،

وقالت وهي تبتمس :

- صباح الخير يا مستر كيلين .. كيف حالك ؟

تجمدت برو مكانها كما أنها قد شلت ، واتسعت عيناها . كيلين ..
إن اسمه كيلين ... جوش كيلين ... هذا هو السبب في أنه لم يكن
غريباً عليها أوه ! إنها لم تلتق به كثيراً ، فإن كلا منهما لم يكن يمت
إلى عالم الآخر ، ولكنه اشترك في حفلات صيد في أراضي أبيه .
وكانت برو تراه بكل تأكيد في ثوبه الأرجواني وينظونه الفضفاض
وحذائه الجلدي ذي الرقبة الطويلة . وكانت وهي فتاة صغيرة تنظر
أحياناً إلى رحلات الصيد وهي واقفة أمام نافذتها . كم كانت تود أن
تتبع على صهوة مهرها الصيادين الرائعين فوق مطاياهم الفخمة ،
وبينهم جوش كيلين ، على الخصوص ، يمتطي جواده في المقدمة
دائماً . كان يبدو كأنه هو وجواده جسم واحد ... كفارس رائع .
سليل الأساطير القديمة .

كانت عائلة كيلين تقيم في كيلين هاوس ، وهو قصر منيف
كانت تملك الجزء الأكبر من الوادي ، وعدة مزارع أخرى فوق تلك التي
يستثمرونها بأنفسهم . وكان أبو برو واحداً من مستأجريهم . وكان
يعبد ذلك المكان . ولكن سوزان اللارديس كانت من مواليد لندن ،
ولم تالف أبداً تلك الحياة الريفية . كانت تكره آل كيلين وما تدعوه
منظمة الوادي الإقطاعية .

وقد حاولت مراراً كثيرة إقناع زوجها بالانتقال للإقامة في
أستراليا حيث يعيش أخوها ، ولكن جيم لم يشأ الإصغاء إليها .
وشيئاً فشيئاً أدركت أم برو أن ارتباط زوجها بالوادي له سبب آخر لا
يقرب به . ولم يكن غريباً عن آل كيلين .

كان السبب يدعى لوسي .. لوسي كيلين ، المسؤولة عن انفصال
جيم وسوزان ، بسبب تلك المرأة عاشت برو وأمها في المنفى ، في
أستراليا ، وجوش كيلين هو ابنها

الفصل الثاني

غادرت "برو" المستشفى وهي مستغرقة في افكارها ، وحتى دون ان تدرك ذلك ، و ما إن جلست في العربة حتى انطلق "جوش" . واضطرت ان تعترف على مضض بانه سائق ممتاز . كانت عيناها مستقرتين على الطريق ، ولم يبد انه واع بوجود "برو" التي كانت تراقبه خلسة . فرغم انه لم يرق لها ، إلا أنها لم تستطع إلا ان تهتم به . كانت ملامحه البارزة تنطق بسمات الرجولة ، وبصورة واضحة مع ذلك ، يكسبه جانب وجهه الطويل سمة قاسية ، ولكنها فاتنة . ومن الذكرى التي احتفظت بها من هنري كيلين ، رأت "برو" انه يشبه اياه . ولكنه اكتسب شيئا أيضا من امه وإذ اغمضت "برو" عينيها ، رأت "لوسي كيلين" ، تلك المرأة الجميلة الانيقة التي لازمت طفولتها . اما زالت على قيد الحياة ؟ . وهل لا يزال لها ذلك الشعر الاسود الرائع وهاتان العينان البراققتان ، وتلك البشرة المخملية تقريبا ، كورقة الزهرة ؟ .
سألها فجأة :

- لماذا عدت هنا ؟

- ما هذا السؤال ؟ ... ولكن لكي أرى أبي .

- وهل راودتك هذه الفكرة فجأة بعد عشر سنوات ؟

كانت لهجته محملة بالسخرية . واحست 'برو' بالغضب يسري في
كياها . وقالت ثائرة :

- لا شأن لك بحياتي الخاصة يا مستر كيلين .

- أنت التي تقولين ذلك يا مس اللارديس ؟

وركز على الكلمتين الأخيرتين وهو يطم شفتيه اشمزازا .

- تماما . انا التي اقول ذلك ، فانت لا تعرف عني شيئا .

- كل ما اعرفه عنك هو ان اباك لم يكف عن الكتابة إليك طوال اربع
سنوات ، ولم تتكرمي حتى بالرد عليه ولو مرة واحدة .

كانت لهجته لاذعة ، واستطرد :

ولكن اطمئني . إنه مسرور جدا بوجودك بحيث لا يوجه إليك اي
لوم . ولكن لن تتخلصي مني انا بمثل هذه السهولة .

- وفيم تتدخل انت ؟ إن علاقتي بابي لاتخص احدا غيري .

- إنني اتدخل فيما يروق لي .

لم تستسلم 'برو' رغم النظرة الغاضبة التي رماها بها . وبدات
تقول وهي تضغط على يديها :

- اسمعني جيدا ...

ولكنه قاطعها على الفور في وقاحة اخرجتها عن طورها . وقال :

- إنني شديد الحب والإعجاب بابيك . واعرف كم تالم لفراقك . اكانت
مجرد بطاقة معايدة في عيد الميلاد تتطلب منك الكثير ؟

صاحت :

- لاتكلمني بهذه اللهجة .

كانت تغلي ، واحست بانها على استعداد تقريبا لأن تصفعه .

- ما أسهل الأمور عند النظر إليها من زاوية واحدة . إنك لا تعرف
غير زاوية واحدة من القصة ، وهي رواية أبي . ثم إنني والقة انه لم

يكشف لك عما في قلبه أبدا . أما عن حياتي انا والطريقة التي قضيت
بها تلك السنين ، فإنك لا تعرف شيئا عنها على الإطلاق ، فاسكت إن

بحق السماء .

لم تستطع ان تتمالك نفسها . وداس 'جوش' على فرامل السيارة
واوقفها في عنف ، وحول رأسه إليها وعيناه حافلتان بالازدراء وقال :

- لعلك تظنين ان كل هذه القصة لا تعنينني ، ولكن لا اظن ان هذا رأي
ابيك ، فهو بالنسبة لي اكثر من مستاجر . إنه صديق للعائلة .

اضطرم وجه 'برو' اكثر . إلام يشير ؟ وماذا يعرف عن العلاقة التي
بين 'جيم' و 'لوسي' ؟ ورمته بنظرة خاطفة .

- أنت ... او ... اما زال والداك على قيد الحياة ؟

ظل وجه 'جوش' جامدا . لو انه كان يعرف شيئا اما كان يصدر
عنه ما يدل على ذلك .

وقال :

- مازالت امي على قيد الحياة . اما ابي فمات منذ اربع سنوات .

اكشهر وجه 'برو' . ترملت امه إنن ، فلماذا لم تتزوج 'جيم'
الارديس ؟ هل انقطعت علاقتهما ؟ إن اباها قد تقدم في السن كثيرا ،

ولا ريب أن الزمن قد استهلك حبهما .

ولكن انى لها ان تعرف ؟ بالتاكيدلا يمكنها ان تستعلم من 'جوش'
فبعد ان طلبت منه الا يتدخل في شؤونها ، لن تكون فضولية هي

الأخرى . ولكنها ستعرف على كل حال بمجرد ان ترى اباها مع مدام
كيلين فلا يمكن ان يكشف كل منهما عما بنفسه ، ما لم ...

إذا كانا قد افلحا في إخفاء علاقتهما عن أسرة كيلين ، فلا بد
انهما خبيران في الإخفاء ، ثم ، وبعد كل شيء ؛ لماذا تنزعج ؟ ، فهناك

حيث كانت ، لم تكن امها تحفل بشيء من ذلك . اما الآن ...

- هاهي المزرعة .

اعاد صوت 'جوش' 'برو' إلى الحقيقة ، فرفعت عينيها وعرفت على
الفور التل والبيت القديم من مسافة بعيدة .

- إنها لم تتغير .

- لاشيء هنا يتغير .
بدا 'جوش' كيلين راضيا عن هذا البيان ، بدون سبب ظاهر .
وانفجرت 'برو' ضاحكة ، فسألها وقد تملكته الحيرة :

- ما الذي يضحكك ؟

- لا ابري . إنما هو مظهرك الذي يدل على الرضا .

- وهل يضايقك هذا ؟

أثرت "برو" أن تلزم الصمت إزاء لهجته المتحمية تقريبا ... وراحت تجيل البصر فيما حولها ، فوق التلال ، والسماء والأشجار التي يعلوها الاصفرار ، والوادي المشبع بالغيوم .

كانت أمها تشعر بالاستياء لمجرد تفكيرها في أن الوادي لا يتغير ، ولكن "برو" أحست بانها في بيتها وسط هذه المناظر . كانت الدنيا تتطور بسرعة كبيرة أما هنا فكانت تبدو كأنها توقفت . وعانت عيناها إلى "جوش كيلين" وقالت :

- هذا أيضا يروق لي دون شك . كنت أخشى إلا أنذكر شيئا ، وكنت أتمنى بكل قواي أن تتطابق الأشياء بذكرياتي .

ارتسمت على شفتي "برو" ابتسامة مريرة ، وقال "جوش" : لن أقول هذا ، فإن الذاكرة ناداراتكون أمينة . كل ما هناك أنني أميل إلى تجميل الماضي .

تاملت "برو" المنظر الصارم الذي يعيد إلى الذاكرة القحط لا الخصوبة . ومهما يكن فإن تلك الأرض كان يشيع منها جمال خاص تأخذ "بيرو" كثيرا . ربما يبقى شخص غريب جامد الإحساس نحوها ، ولكن الأمر كان جد مختلف معها ، وهي التي تعيد صلتها بموطنها الأصلي .

- لا أظن أنني جمعت في حياتي شيئا ما .

وتبادلا ابتسامة ...

- في هذه الحالة ، على الرحب والسعة في بيتك .

راح قلب "برو" يدق بشدة عند سماعها هذه الكلمات . كانا قد بلغا قمة التل . وفجأة ضغط "جوش" على الفرامل . ومن غير أن يتخلى عن ابتسامته ، مد نراعه بطول مقعد "برو" ، فتوترت وقد شعرت بالضيق ، وسالته في صوت مضطرب :

- لماذا توقفت هنا ؟

نظر إليها وهي متوترة فوق مقعدها ، ولم يسعه ، إلا أن يبتسم

ابتسامة كلها خبث وقال :

- وما رأيك ؟

هذا الصوت الشديد الهدوء ، وتلك الابتسامة الخبيثة ... إنه لن يقدم على كل حال ..

- هلا انطلقت من جديد ... إذا سمحت ؟

وتشبثت بيدها بمقبض الباب ، على استعداد للوثوب عند أقل حركة ، وبدت كالحَيوان الطريد . وأجاب في صوت واضح :

- أوه ... ليس على الفور

وبحركة بطيئة أدنى يده ، ولكن بدلا من أن يداعب وجنتها كما خشيت ، اكتفى بان أبعد خصلة من شعرها كانت تخفي وجهها ، فصاحت :

- لا تلمسني .

- ولماذا تصرخين هكذا ؟

أغاضها عدم اكتراثه ، وقال :

- لم أتوقف لكي أهجم عليك .. فاهدئي .

- إنني هائبة تماما ... شكرا .

كلما انفجرت "برو" غاضبة كلما بدت السخرية على "جوش" . وقال :

- حقا ؟ ... إذا كان الأمر كذلك فإنني أهتكك على أدائك لدور الفتاة

الخائفة ، وبهذه المناسبة ، فإنني توقفت لكي تتمكني من الإعجاب

بالمنظر فحسب .

بدا الذهول على "برو" وقالت :

- المنظر ؟ ... من تحسبني ؟ إنني لم أولد أمس على كل حال .

- حقا ؟ .. كنت قد بدأت - على العكس - أفكر أنه التفسير الوحيد

المعقول لمسلحك .

نظرت إليه شذراً وقالت :

- لعلك تستظرف نفسك .

والواقع أن "جوش" كان يبدو مرحا جدا ،

- شيء ما يقول لي إنك لا تحبينني يا أنسة "اللاريس" .

تلبد وجه "جوش" فجأة ، وقال :

- اخرجني .

تجنبت "برو" في الوقت المناسب اليد التي بسطها لكي يشير لها بها إلى الباب . وانحنى فوقها ولمس جسدها . ولكن لم يكن هناك أي أثر للشهوة فقد كانت عيناه تومضان بالغضب . وفتح الباب في عنف بحيث أوشكت أن تجد نفسها على الأرض . سيكون هذا الرجل مجنوناً إذن ؟ وتقدمت في خطى مترنحة نحو سور ، وألقت بيديها فوق الحجر الخشن ، وأحست بحشرة تلمس بشرتها ، وتركت نبتة رقيقة مسحوقاً اصفر فوق أصابعها ، ولكنها لم تلحظ ذلك لفرط ما كان قلبها يغلي .

نزل "جوش" من السيارة بدوره . واقترب من "برو" ، وقال في رفق :
- لو تكرمت بإلقاء نظرة من فوق هذا السور ، فسوف تستمتعين بالنظر إلى الوادي كله . إن المنظر من هنا أجمل منه من مزرعة أبيك .
خطر لي أن ذلك قد يساعدك - على التحديد - في إحياء ذاكرتك .
أدارت بصرها على مدى الوادي ، ورات المدينة بميدانها وسوقها وأسقفها الأردوازية ، وقالت :

- لم تكن بك حاجة لإحياء ذاكرتي ، فانا لم أنس شيئاً .
قال في صوت قاطع :

- لم تنسى شيئاً ... فيما عدا أنك نسييتني .
أجفلت "برو" . ولحسن الحظ كانت توليه ظهرها ، ولولا ذلك لاستطاع أن يقرأ الاضطراب في وجهها . وأجابته في حدة :
- لم يسبق أن تعارفنا قط .
- هل أنت واثقة من ذلك ؟

ما الذي يعنيه ؟ أحست "برو" برعشة تسري في كيانها من جديد وقالت :

- لا اعتقد أننا تبادلنا التحية أبداً .

- ربما ... ولكننا تعانقنا .

تحولت إليه مشدوهة . لكنه كان قد استدار على عقبيه لكي يعود إلى السيارة وقال :

- لعل من الأوفى أن نتابع الطريق ، وإلا جازف أبوك بإرسال فرقة

للبحث عنا .

جلست "برو" في العربة ، وصفتت الباب خلفها في عنف لكي "تهدي" أعصابها . كان واضحاً أنه يسخر منها ، إذ كيف يمكن أن يكونا قد تعانقا ، في حين أنها كانت في الثالثة عشرة من عمرها عندما غادرت الوادي ، وكان هو يكبرها بعشر سنوات ... بل يائنتني عشرة سنة ؟ وألقت إليه نظرة خاطفة ... معنى ذلك أنه في الخامسة والثلاثين الآن . من الأوفى إلا تحاول الإصرار . فقد كان يتعمد بسوء طبعه - إثارتها لكي ترد ، أفضل شيء هو أن نتظاهر بعدم الاكتراث . وفي استطاعته دائماً أن يستمر ، إذا راق له ذلك ، فستبقى كالرخام .

ولكن من أين اكتسب إذن موهبته هذه في إغاطة الناس ؟ من أمه بالتأكيد تذكرت "برو" كلمات "سوزان اللارديس" . كانت "لوسي كيلين" فتاة مدللة ومتقلبة الأطوار بشكل لا يطاق . وهي تتذكر الآن أن الشك ساور أمها إلى حد أنها اختلقت الأحداث ...

ولكن "سوزان" كانت على حق بالتأكيد . وداخل "برو" الندم لأنها لم تصدقها . تبخرت كل أفكارها عندما مرت السيارة من بوابة القصر . كان يحجب المزرعة عن الأنظار الفضولية سور حجري مرتفع مكسو بالطحالب . وتقدمت السيارة في الطريقة الضيقة المحفوفة بأشجار الغار المهمل ، وراحت الأغصان العارية لأشجار الزعرور تطقطق في الهواء . وظهر أمامها البيت ، وهو بيت عتيق مربع من الحجر الباهت ، بسقف أردوازي ، وباب جميل من خشب البلوط بلته السنون ، ومصاريع خضراء وبيضاء ، يصدر من المجموع إحساس غريب من الصلابة والقوة والاستقرار الهادئ .

أوقف "جوش" السيارة ، وهبطت "برو" ، ضائعة في تكرياتها . وتقدم أبوها نحوها ، مرتدياً سترة قديمة من التويد ، وقد أدخل طرفي بنطلونه في حذائه الكاوتشوك الطويل الملوث بالوحل ، واضعاً فوق شعره الأبيض قلنسوة ، وقال :

- حسناً يا "برو" ... اتجدين البيت قد تغير كثيراً ؟

- أوه ، كلا أبداً .

ولم يسعها إلا أن تلقي نظرة نحو "جوش كيلين" . ولكنه لم يكن قد

خرج من السيارة ، تاركا المحرك دائرا . واتى بإشارة ودية من يده مستاندا "جيم" في الانصراف وهو يقول :

- سانطلق الآن ، فإنني على عجل إلى اللقاء قريبا .
- لحظة يا "جوش" ... إن "لينسي" هنا . وكان "جوش" قد انطلق ، فواقف المحرك مرة واحدة وقال :

- ماذا ؟
- اسمع يا "جوش" - لا تكن قاسيا معها .
كان "جيم اللارديس" قد اقترب من السيارة وراح يتكلم في صوت خافت بحيث إن "برو" لم تسمع الحديث الذي دار جيدا . وقال "جيم" :
- إنها صغيرة جدا كما تعرف . وتجد صعوبة كبيرة في أن تتأقلم .
- هذا لن يصلح شيئا ، إذا استمرت تهرب بلا انقطاع . ولماذا لجات إليك ؟ كان في سؤاله رنة من العتاب . وحولت "برو" رأسها . كان واضحا أنهما يتحدثان في أمر لا يخصها . ولكن الفضول استيقظ في أعماقها ، وتساءلت عما يتكلمان .

ومضت نحو البيت . كانت تقف على عتبة فتاة ترتدي بنطلوناً من الـ"جينز" ، وقميصا قصير الكمين ، وهي ثياب رات "برو" أنها ليست على مستوى جمالها الأخاذ ، ولا ريب أنها هي الـ"لينسي" التي تكلم عنها أبوها . لم تكن قد بلغت من العمر أكثر من العشرين عاما .

قال "جوش" وهو يمسك بها في عنف :
- أه ... ها أنت !
وجرها إلى العربة ، ولكنها راحت تقاوم في شراسة وهي تقول :
- توقف . دعني .. أرجوك
- اسكتي .

وتمكن من إدخالها إلى سيارته رغم صيحاتها . وقال "جيم اللارديس" :
- انتظر يا "جوش" .
ولكن "جوش" صفق الباب في عنف كما لو أنه لم يسمع ، ومضى فجلس أمام عجلة القيادة .

وما هي إلا ثوان حتى نوى المحرك ، وصرت العجلات فوق الحصى ،

وبقيت "برو" لحظة ، هي وأبوها صامتين ، ثم قال "جيم" :
- يا إلهي ! اظن أنني لم أكن لبقا ، فقد وعدت "لينسي" أن أتكلم في صالحها . ولكن "جوش" لم يدع لي الوقت . إنه فظ الطبع في بعض الأوقات .

- في بعض الأوقات ؟ ... لعلك تريد أن تقول دائما .
كانت لا تزال مغتابة من سلوك "جوش" ، وراحت تتساءل من تكون "لينسي" هذه ؟ أهي صديقة "جوش" الشابة ؟ أم زوجته ؟ ولكن لا . إن "جوش" لا يتصرف تصرف الرجل المتزوج ، مالم ... إن الزواج لبعض الرجال بالتأكيد ما هو إلا "نقطة" لا تمنعهم من الجري يمينا وشمالا .
القت "برو" نظرة خاطفة نحو أبيها . أهو من هذا النوع من الرجال ؟ إن "سوزان" ظننت دائما أنه يجري خلف النساء ... خلف امرأة بالذات ... ولكن أين الحقيقة في هذا الموضوع ؟
- أنت على خطأ ... إن "جوش" شاب رائع .

وأمام سحنة "برو" المتشككة قطب حاجبيه وقال في قلق :
- ماذا حدث ؟ ألم يكن "جوش" ظريفا معك ؟ ولكنه لا يحقد عليك بسبب الحادث ، فلا ذنب لك ... وبهذه المناسبة ، أرجو أن تعذريني لأنني لم أت لاصطحابك .
- لا تقلق ، فقد أخبرني "جوش" ، وأرجو أن تكون قد وجدت خرافك ، فقد كان ذلك أهم من كل شيء آخر .

قال في إصرار وفي ارتباك واضح :
- حقا ؟ ... ألم تحقدي علي ؟
- أوه . إنني أعرف أنني ابنة أُمي ، ولكنني ابنتك أنت أيضا يا أبت ، فلا تنس ذلك .

وابتسمت له ابتسامة كلها حرارة ، فطوقها الرجل بذراعيه في انفعال وتأثر :
- هذا شيء لا يمكن أن أنساه أبدا . تعالي وشاهدي غرفتك . إنني احتفظت لك بالغرفة التي كنت تنامين فيها وأنت صغيرة . أما زلت تتذكرينها ؟
- بكل تأكيد .

تبعث 'برو' أباهما إلى داخل البيت . كان بلاط الأرضية الأحمر في البهو الحجري الكبير يلمع . وعلى جانبي المدفأة تجويغان بهما مقاعد مستطيلة تعلوها رفوف من الخشب الداكن . توقفت 'برو' وهي ترى كل طفولتها أمامها ، في هذا الأريج من اللوند وشمع النحل والأزهار . وتقدم أبوها إلى السلم الحلزوني الذي يؤدي إلى الطابق الأول ، وطققت درجاته تحت قدميه ، وأعادت لها موجة من الذكريات ، فكم من ليلة ، وكم من صباح سمعت هذه الطقطقة وهي مكومة في فراشها . نخل 'جيمس اللاريس' الغرفة ، ووضع حقيبة ابنته . وبقيت 'برو' على باب الغرفة ، عرفت كل شيء تماما . السقف بعوارضه الداكنة وفراش طفولتها الجميل باغطيته الساتانية والوربية اللون ووسائده المستديرة . والأرضية الملمعة جيدا ، والسناثر الفضية بزخارفها الربيعية . حتى المفارش فوق المناضد كانت نفس المفارش . وقالت :

- لم يتغير شيء .

ابتسم 'جيم' إزاء بهشتها . ولكن سرعان ما كفهر وجهه وقال :

- أخشى أن أشياء كثيرة قد تغيرت في الواقع . أنت أولاً ، لم تعودي طفولتي الصغيرة السابقة . إنك أصبحت امرأة وامك ... وتهدج صوته ، وأولاهما ظهره ومشى ، واعتمد على النافذة ثم عاد يقول :

- لا يمكن أن تتصورى مبلغ سروري لوجودك هنا معي . ويؤسفني أن خطيبك لم يستطع أن يرافك . ولكنني لست حزينا وأنا أراك لي وحدي لحظة قصيرة ، فلا أحب أن يقاسمني أحد فرحتي . وكان قد عبر الباب حتى قبل أن تتمكن 'برو' من الرد عليه . وقال :

- أنك تريدين أن تنفردى بنفسك لحظة بالتأكيد ، لكي تستعيدى ذكرياتك ... إذا احتجت إلي فستجدينني في مكتبي .

ومضت بقية اليوم في هدوء . واستقرت 'برو' في غرفتها ، ثم هبطت لكي تتفقد البيت و الحديقة . أريبتها رحلتها هذه إلى أماكن طفولتها وأبهجتها في نفس الوقت ... ووجدتها أبوها فوق الأرجوحة القديمة ، وبجوارها كلبه من كلاب الحراسة . ورفعت عينيها عندما سمعت خطواته فوق الحصى

- قل لي ... أهذه هي كلبتنا 'بيس' المخلصة ؟ ... إنها لم تتغير أبدا .

- أبدا ... إن 'بيس' المسكينة ماتت منذ سنوات طويلة . وهذه ابنتها 'مج' .

- يا للعزيزة 'بيس' . سوف يعرف كل منا الآخر إذن 'يامج' . إنني عرفت أمك جيدا منذ وقت طويل .

أشرق وجه 'جيم اللاريس' بابتسامة وهو يرى ابنته تحنو على الكلبة ، وقال :

- أتيت أبحث عنك لتناول العشاء .

صاحت 'برو' :

- لا تقل إنك قمت بإعداد الطعام . كان يجب أن تنادينني . لا أريدك أن تتعب من أجلي .

- تعرفين أنني أعد الطعام لنفسى وانت لست هنا . وإنه لمن السهل تقريبا إعداده لشخصين عن شخص واحد . ثم إنه أكثر تسلية ، وأنا أبغض أن أتناول الطعام وحدي .

فكرت 'برو' في شيء من الخجل : لا شك أن طول الوحدة ألمه وأثقل عليه . وحين أفكر في أنني لم أراسله طوال هذه السنين ...

اتصلت 'برو' بالمستشفى في صباح اليوم التالي ، وقيل لها إن 'دافيد' لا يمكنه أن يتلقى أية زيارة لأن أعراض الحمى ظهرت عليه . ولكن الممرضة طماننتها قائلة إنه ليس هناك ما يدعو إلى القلق ، وإن الطبيب نصح بالراحة التامة .

ومر اليوم بين الأب وابنته في محاولة لاستعادة العلاقات ، وتنزها طويلا حول المزرعة وهما يتجاذبان الحديث في مرح عن حياة الريف . وكانت الطيور والغربان والعقبان تحلق فوق القطعان تترصد فرصتها . وقال 'جيم' :

- أرايت هؤلاء المتخاتلين يا 'برو' !

صاحت الفتاة في مرح :

- هلم بنا نعود . أنا التي ساعد العشاء الليلة . ولكن بدا أن اقتراحها هذا أثار ارتباك أبيها لأنه قال :

- اوه .. نحن مدعوان الليلة للعشاء مع آل 'جوش' .
امسكت 'برو' انفاسها . ممن انت هذه الدعوة ؟ امن 'جوش' ام من
امه ؟

جعلها هواء المنطقة البارد ترتعش فجأة متخللاً ثيابها .
- هذا إلا إذا كنت تفضلين إرجاء الأمر إلى ما بعد .
والواقع انه لم تكن لـ 'برو' اية رغبة في تناول العشاء مع 'جوش' ...
ومع امه بالذات . كانت بالأمس شديدة اللهفة لرؤية ابيها امام 'لوسي'
كيلين' لكي تتأكد من مشاعرهما . ولكنها لم تكن متأكدة الآن من انها
تريد ان تعرف الحقيقة . وقالت :
- كما تشاء يا ابي .

بدا التردد على 'جيم' . هل انتابه الشك في انها تشتبه في شيء ؟
حتى الآن لم يكن قد تعرض لموضوع فراقه لزوجته . فهل كان يظن انها
تجهل كل شيء ؟

- سوف نرى بعد قليل .. بناء على الحالة التي ستكونين عليها ..
ومهما يكن فإنك لم تغادري المستشفى إلا امس .
احست 'برو' انها في احسن حال . فقد مرت صدمة الحادث .
وجروحها تندمل بسرعة . ولكنها حرصت على الا تقول ذلك .
واسعدها جدا ان تنتهز الفرصة وقالت :

- اظن انني اؤثر ان انام مبكراً الليلة . وارجو الا يسبب لك
ماسا طهوه من طعام اية وعكة .
قهقه 'جيم' وقال :

- لا داعي لهذا التواضع الكاذب يا 'برو' . إن امك كانت طاهية ممتازة .
ولاشك انها علمت اسرار الطهي .

- هذا صحيح .
استعادت 'برو' هدوعها اثناء العودة . ولكن لماذا يكثر ابوها الحديث
عن امها هكذا ؟ هل كان يفكر فيها كثيرا . وهل تالم لرحيلها ؟ لعله
احبها بإخلاص . امور كثيرة لم تجرؤ على ان تساله عنها .
نظر 'جيم' اللارديس' إلى ساعته وقال :

- ما اسرع مرور الوقت . يجب ان اسرع . فإن امامي اعمالاً كثيرة

يجب ان اؤديها اصيل اليوم هل انت واثقة من انك تريدان إعداد
الطعام ؟ يضايقني ان اتركك وحدك . فانت لاتزالين ضعيفة جدا .
استطيع ان اعد الطعام بنفسى كما تعرفين . وذلك لا يضايقني ابدا .
- بل يسرنى ان اتولى ذلك انا بنفسى . إذا لم تجد مانعا فساقوم
بزيارة قصيرة للثلاجة لكي اتفقد ما فيها .

- حسنا . ماامت تصرين . ولكن يجب ان تخلدي إلى الراحة قليلا
بعد ذلك . وساعود لمساعدتك بمجرد ان افرغ من عملي .
ابتسمت له ابتسامة رقيقة وقالت :

- حسنا . سوف نشترك معا إذن . وسيكون ذلك جميلا .

ابتعد وقد انتعش في الظاهر . وبعد ان تفقدت 'برو' المطبخ لإعداد
العشاء . صعبت لكي تستلقي قليلا . فقد ارهقها اليوم الذي قضته في
الهواء الطلق . وغلبها النوم على الفور .

هبت من نومها بعد بعض الوقت مذعورة . فقد سمعت الطقطقة
المميزة لمقبض باب غرفتها وهو يدور .. كان هناك من يحاول دخول
الغرفة . واعتدلت 'برو' وهي تغالب النوم . ولكن الباب كان قد انقفل .
وصدر صرير من درجات السلم . فاقصت عنها الاغطية وكتمت تتأوبا
وهتفت : 'بابا' .

ولكن لم يرد عليها احد . وانقطع صرير الدرجات . واحست رغم
الصمت بوجود شخص على مقربة .. نفس مكتوم ... واختفى الشعور
بالنوم .

- بابا ... اهذا انت ؟

بقي هذا النداء الثاني بغير رد هو الآخر . فتملكها الخوف . ومن
جديد سمعت صرير الدرجات وقد خفتت كثيرا هذه المرة . كما لو ان
الزائر لا يريد ان يسمعه احد . واحست 'برو' فجأة بالضيق في هذا
البيت الكبير الشاغر . إذا لم يكن اباها فمن يمكن ان يكون ؟ ولماذا
لا يرد ؟

اسرعت بالهبوط من الفراش . واقتربت من الباب على طرفي قدميها
وفتحته فجأة . كان الظلام قد بدأ يخيم على السلم . وكان الليل قد
هبط تقريبا في اصيل ذلك اليوم الخريفي . ولكنها تمكنت مع ذلك من

رؤية شبح داكن لا يتحرك ، كان هناك رجل يقف ، وخياله المفرط الطول يرتسم على الجدار حتى السقف .

وراحت أسنانها تصطك وهي تحقق في ذلك الشخص .

www.elromancia.com

الفصل الثالث

ادار الرجل راسه نحوها ، فتبخر قلقها على الفور ، وحل محله غضب شديد .

- ماذا تفعل هنا بحق السماء ؟ ... ومن الذي سمح لك بالمجيء والتجول في هذا البيت ؟

صعد "جوش" بضع درجات وقال في هدوء :

- لم اكن اتجول ، كنت احاول الا يصدر عني صوت فحسب ، حتى لا ازعجك في نومك .

- ما هذه الرقة ؟! ولكنك ايقظتني ، لسوء الحظ ، بمحاولتك دخول غرفتي خلصة . هل يمكن ان اعرف عم كنت تبحث ؟

- اطمئني ، فلم اكن اريد بك سوءا .

زابتها خشونة صوته غضبا وقالت :

- لا ابري ماذا تتوهم بخصوصي ، ولكن صدقني إنك تضل الطريق .

- انا ؟ ... وماذا اتوهم ؟

وضحك ضحكة صغيرة ساخرة وقال :

- الست أنت التي تضلين الطريق بالأحرى ؟ فهذه هي المرة الثانية التي تتهميني فيها بانني أمهد لعقد صداقة معك ، ولست على حق كالمرّة الأولى . ولعمري ، هل تعتقدين انه لا يمكن مقاومتك ؟ راحت تغلي من داخلها ، ولكنها تغلبت على نفسها لكيلا تصفعه ، مخافة أن تمنحه الفرصة لكي يرد لها الصفعة ؛ لأنه لن يتردد عن ذلك بالتأكيد ، كما تعرفه .

- لم تذكر لي حتى الآن عم كنت تبحث في غرفتي ؟

- إنما أردت أن أرى أباك ، لا أنت .

قالت متشككة في صوت جاف :

- أبي ؟ ... هنا ، في غرفتي ؟

- لقد ناديت وأنا تحت ولكن لم يرد علي أحد . ثم رايت 'مج' راقدة بجوار الباب ، فخطر لي أن أباك لابد أن يكون فوق ، وفتحت باب هذه الغرفة ، وعندما رايتك نائمة سارعت بالاختفاء بقدر ما استطعت . هل يكفيك هذا ؟

انحنى 'برو' نحو الكلبة الجالسة بجوارها . كانت 'مج' تئن في هدوء ، شاعرة هي الأخرى بهذا الجو المتوتر ، فقالت :

- إنني لم أكن أعرف حتى أنها هنا . لاريب أن أبي كلفها بالسهر علي .

تأثرت 'برو' بهذا الاهتمام . لاريب أنه عاد إلى البيت وترك 'مج' لكي تحميها .

- إنها كلبة حراسة ممتازة .

تابع 'جوش' يد 'برو' وهي تلاطف شعر الكلبة ذا اللونين الأبيض والأسود . وارهفت 'مج' أنيها ، ورفعت عيني مستفهمتين نحو 'برو' في انتظار أوامرها - إنها ظريفة ... ظريفة وشجاعة .

أكفهر وجه 'برو' وهي تداعب الحيوان وقالت :

- كيف حدث أنها لم تنبح وهي تراك تدخل ؟

- إنها تعرفني منذ الأزل ... وتعرف أنني ممن يترددون على البيت .

ولكن إذا أنت أمرتها بأن تهجم عليّ فسوف تفعل .

أشرق وجه 'جوش' بابتسامة حافلة بالخبث فقالت :

- حقا ؟ أمدرية هي على الهجوم ؟

ونظرت غير مصدقة إلى عيني الكلبة المستسلمتين .

- كلا . إنها مدرية على الطاعة . أمرها سيدها أن تحميك ، وإذا

احست بانك في خطر ، فسيفعل كل شيء للدفاع عنك .

قالت 'برو' في ابتسامة ساخرة : لا تغرر بي .

بدا أن المزحة لم ترق لـ 'جوش' لأنه قال :

- ظننت أنني اقنعتك أنه ليست لي أية نية سوء نحوك .

احنقتها لهجة 'جوش' العنيفة فقالت :

- إنني اطمأنتت الآن ، ولكنني لا أريد أن احتجزك . ستجد أبي

مشغولا في مكان ما من الحديقة . خذ 'مج' معك ، فستساعدك على أن

تجده .

هز 'جوش' رأسه وقال :

- كلا إنها لن تتبني .

- أه . حسنا . الا تحبك هي الأخرى ؟ ... حسنا . هذه كلبة ذات

نوق .

تظاهر 'جوش' بأنه لم يسمع هذه الملاحظة السمجة وقال :

- إنها لن تفارقك طالما لم تطلق الأمر ... هذه الكلبة لا تطيع إلا

صاحبها .

انصفق باب في هذه اللحظة في الطابق الأرضي . واحست 'برو'

بالارتياح ، وقالت :

- ها هو ذا أبي .

اختفى 'جوش' في السلم على الفور ، ومضت 'برو' واعتمدت على

النافذة ، وعيناها ضائعتان في الفضاء . وعانت تفكر في 'جوش' .

لماذا كانت بمثل تلك العصبية وبمثل تلك العدوانية معه ؟ لم يحدث

فيها أي رجل آخر مثل هذه المشاعر ، وعلى الخصوص 'دافيد' .

كان 'جوش' يحدث فيها رد فعل غريباً ... كيميائياً . لا جنوى من

الكذب ، فرغم كل النفور الذي تحس به نحوه لم تستطع أن تمنع

نفسها من أن ترتبك طبيعياً أمامه . وكانت تشعر بحاجة غريبة إلى

مهاجمته ... و ... أيضا إلى أن تثيره .

وقفت امام النافذة وغرقت في افكارها . ورات 'جوش' واباها يخرجان من البيت ، وانها ستكون عمياء حقا او حمقاء إن لم تدرک على الفور مدى الصداقة والالفة اللتين تربطان الرجلين ، كان من الواضح تماما ان اباها يحب 'جوش' كثيرا ، ولكن اباها رجل ، وهو يحکم على 'جوش' طبقا لمعاييره هو-ابتعدت سيارة 'جوش' . وبعد ان انتقلت إلى غرفة الاستحمام لكي تغتسل ، هبطت ، ووجدت اباها يعد الشاي في المطبخ ، فتحول إليها وابتسم لها .

- هل نمت جيدا ؟ ... يؤسفني ان 'جوش' ايقظك .
- ليس الامر خطيرا ، فقد نمت كفايتي .
- لقد استعدت نصارتك على كل حال .
احست 'برو' بالاحمرار يتصاعد إلى وجنتيها ، وقالت لكي تخفي ارتباكها :

- اشكرک لانك تركت 'مج' تسهر علي .
صب 'جيم' الشاي في قندين ، قدم لـ'برو' قدحا منهما وبسكويتين وقال :

- ذوقني هاتين . إنه بسكويت لذيذ صنعته 'بيتي كين' ، المرأة التي ترعى شؤون البيت ثلاث مرات في الاسبوع . سترينها غدا .
وتحت نظرة ابيها المجاملة ، اخذت 'برو' قضة وقالت :

- اه . إنه لذيذ .
اخذت بسكويته اخرى ، الامر الذي راق لابيها . كان منظرأ طبيعيا جدا ؛ اب وابنته يتناولان الشاي معا . ومع ذلك فلم تشعر 'برو' بارتياح تام . كان لابد لها من تعويض الوقت الضائع ، وإعادة الاواصر التي انفصمت طوال هذه المدة . كانت معركة كل لحظة . ولكن ... ألم يكن الوقت قد فات على ذلك ؟

- 'برو' ...
كان صوت 'جيم' مترددا :

- بخصوص العشاء لدى الـ 'كيلين' ...
ها هو ذا الحزن يبدو على وجهه من جديد . احست 'برو' انها ارتدت عشر سنوات إلى الوراء . الايمكنه احتمال قضاء ليلة بدون

لوسي كيلين ' . !؟ إنه لا يامل على كل حال ان تغدو هذه المرأة صديقة لها . كان هناك شيء واضح لكل ذي عينين ، وهو ان اباها يتلهف على تناول العشاء عند الـ 'كيلين' .

- هذا هوسبب زيارة 'جوش' إذن ؟ ... ارسلته امه لكي تتأكد من حضورنا .

بدا ان صوت 'برو' المستسلم جرح شعور 'جيم' . ونظر إليها لحظة ثم قال :

- كلا . إنه جاء لتسوية بعض المسائل العقارية ، فنحن نقوم بترميم بعض الجدران الصغيرة قبل بداية وضع النعاج . و'جوش' يعد قائمة بعمليات التناوب ونحن جميعا نتعاون كل سنة ، لأن التلف يصيب جدراننا كثيرة بسبب تقلبات الجو فالمطر والثلج ، وحتى الخراف نفسها تتسبب في اضرار فظيعة ، وهو عمل مرهق نجد مكافاته دائما .

- إذن فهو لم يسالك إن كنا سناتي الليلة ؟

ظل ابوها مطرقا يراسه وقال :

- إنه اشار إلى ذلك . كنت قد وعدت ان ارد عليهم ، ولكنني فضلت الانتظار حتى تستيقظي .

تلك النظرة المتهربة مرة اخرى . وكتمت 'برو' تنهيده . كيف تقاومه حين يتخذ هذه الهيئة .

- إذا كنت شديد الحرص ...

اشرق وجه 'جيم' على الفور وقال :

- هل تريدان حقا ؟ ... اوه ، إنني واثق انك ستقضين ليلة سعيدة

يا 'برو' ... إنه بيت ظريف . هل تتذكرينه ؟

- بالتأكيد .

لم يلحظ 'جيم' لفرط سروره ؛ نبرة التهكم في صوت ابنته . ونهض وأسرع إلى التليفون وهو يقول :

- سوف تغتبط لوسي ، ويجدر ان اكلمها الآن على الفور . قال لي

'جوش' إنه اصطاد بعض طيور الحجل ، وهي بحاجة لان تعرف كم تعد منها ثم سالها فجأة ، قلنا :

- اظنك تحبين طيور الحجل ، على الاكل .

- لا انتذكر انني تناولتها قط . ولكنني احب البط والسمان ولكن كل الطيور تتشابه تقريبا ، اليس كذلك ؟

- لن اقول هذا . ولكنني واثق انك اكلت طيور الحجل في طفولتك ، فهناك الكثير منها في المنطقة . ولعلك تذكرين انني كنت اتي بالكثير منها غالبا . واعتقد انك كنت تتناولينها دائما عن طيب قلب ، على عكس سرطان البحر ...

- اه السرطان .. نعم انني اكره منتجات البحر .

تالرت 'برو' وهي تتذكر هذه النقطة . ولكن كان ابوها قد تناول سماعة التليفون الموضوع في الناحية الاخرى من المطبخ . ورفعت قده الشاي إلى فمها وهي تفكر في 'كوسي كيلين' ، ولم تكن على الخصوص ، والحق يقال ؛ تتعجل لقاء تلك المرأة ، ولكن المواجهة ستتم ذات يوم على كل حال ، فلماذا لا يكون ذلك الليلة . وارهفت اذنيها .

- اه ، كوسي ؟ ... انا 'جيم' . حسنا . نحن قادمان . نعم ، نعم .

اخبرني 'جوش' ، و'برو' تحب طيور الحجل ، ظاهريا على الاقل . كان صوته حارا وهادئا . كان يحدث كوسي كما يحدث الرجل زوجته فلماذا لم يتزوجا إذن ؟ الح هذا السؤال على 'برو' ، ولكن لم تكن هناك اية جدوى من التخمين في فراغ ، وصعدت الفتاة إلى الطابق العلوي لكي تفحص ملابسها .

لم تات معها بشيء من الثياب اللائقة لحضور حفلات الاستقبال ، فيما عدا ثوب ينسجم تماما على جسدها من الصوف بلون اليبسب ، صممه احد مصممي الازياء الشبان في استراليا .

وإذ وقع اختيارها على ذلك الثوب اخرجت قرطا وسلسلة جميلة من الذهب وساعة من الذهب هي الاخرى ، اهداها لها زوج امها بمناسبة بلوغها العشرين من عمرها . واختارت حناء اسود وجورياً اسود وثيابا داخلية سوداء هي الاخرى . وبعد ان وضعت كل ذلك فوق الفراش مضت لكي تعد الحمام . سوف تواجه ال كيلين بكل صفاء وهدوء إذا احست بانها تبدو جميلة أكثر من العادة تمددت في

البانيو ، وراحت تفكر في 'دافيد' ، وكل المشروعات التي خطط لها لهذه الرحلة . لماذا اصرت كل ذلك الإصرار على ان تاتي إلى 'يوركشاير' بسبب إصرارها هذا يرقد 'دافيد' الآن في المستشفى .

وبعد ساعة ، احست ، في العربة التي تمضي بهما إلى قصر 'كيلين' ؛ بانفعالها وهويزداد ، والقي ابوها إليها نظرات قلقة ، المرة بعد المرة ، ثم قال :

- هيا ، لا تقلقي . سترين ... إنهم قوم ظرفاء ومرحبون جدا .

اجابته بابتسامة منجمدة :

- لا تقلقي يا ابي ... كل شيء على ما يرام .

حاول 'جيم' ان يبدا مرحا ، ولكنه لم يستطع ان يبدا جو التوتر . وبعد خمس دقائق دلفت السيارة إلى طريق محفوف بالأشجار ، يؤدي إلى الواجهة الضخمة للبيت العتيق .

ورات فوق الجدار الذي اضاءه كشافا السيارة ، اشكالا صغيرة سوداء تحلق من ناحية إلى اخرى فاجفلت :

- ما هذا يا ابي ؟

انفجر 'جيم' ضاحكا وقال :

- إنها مجرد خفافيش ... غير مؤذية على الإطلاق .

وظهر 'جوش' في نفس اللحظة ، خارجا من ظلمة مدخل البيت . وكان يرتدي حلة سوداء وهيئته المعتمة تكاد لا تبين :

اه ... وكأنه 'داركيولا' .

ضحك 'جيم' لدعابة ابنته وقال :

مسكين 'جوش' . إنك لا تحبينه حقا . ولكن يجب ان اعترف ان الشاب شديد ...

هبط 'جوش' الدرجات القليلة الامامية ، وانحنى قليلا ليحيي 'برو' ، ثم فتح لها الباب في رقة متناهية :

- تفضلي ، على الرحب والسعة .

خرجت من السيارة وبها رعشة من التخوف لم تفت على 'جوش' وقال :

- إن الجو بارد الليلة ... اسرعي بالدخول ... إن لدينا الآن جهاز

تدفئة ، في حين ان هذا البيت كان في طفولتي يبدو كمخزن قديم مملوء
بالتيارات .

قال "جيم" وهو يضحك :

- هل تعرف ان "برو" ارتجفت عندما رأت الخفافيش ؟

وأشار بإصبعه نحو السطح وأردف :

- هل كنت تعرف ان سطحك مسكون ؟

- بالتأكيد . لقد عششت هذه الحيوانات الرقيقة فوق السطح منذ
سنوات . ولكنها لا تزعج احدا .

احتجت في شيء من الضيق :

- ابدا ... إنما دهشت فحسب .

ظهر شخص من فتحة الباب في هذه اللحظة . وعرفت "برو" من اول
نظرة "لوسي كيلين" .

شعرها البراق فيما سبق كان الآن بلون الفلفل والملح ، وجسمها
الممشوق استدار بعض الشيء ، ولكن جمال وجهها الرائع لم تفسده
اية غضون .

وبينما كانت "برو" تلقف جامدة تتامل مضيفتها ، تقدم "جيم" ويسط
يده "لوسي" :

"جيم" !

- انت جميلة جدا الليلة يا "لوسي" .

كان صوته دافئا واتسعت نظرته لها لتساعا غير عادي . وقست
ملامح "برو" على العكس ، وتوترت فهما لا يتحدثان كمجرد صديقين
وإنما أكثر من ذلك بكثير .

وكانت قد عرفت مسبقا ان غريزتها ستقول لها إن كانا عاشقين ام لا .
وتأكدت الآن ان أمها لم تكن مجنونة ، ولم تكن تهذي ، وإنما كانت
محقة على طول الخط .

- الا لتخلان ؟

جعلها صوت "جوش" البارد ترتجف . كان ينظر إليها في قسوة .
ورمته "برو" هي الأخرى بنظرة عدوانية وهي تقول :

- إنني قادمة .

قطب "جوش" حاجبيه وقال :

- يا إلهي ! ماذا بك ؟ أرجو ألا تكوني نزقة هكذا طوال السهرة . إذا
كنت سيئة المزاج فقد كان من الخير لك ان تبقي في بيتك .

- لست سيئة المزاج . إنني هادئة الطباع في العادة ، وأنت الذي
تجبرني على ان اكون بغیضة هكذا .

راح يضحك ساخرا وقال :

- ... كان يجب ان اشك في ذلك . إنني عرفت نساء مثلك لست مخطئة
في شيء ابدا . اليس كذلك ؟ يجب ان تجدي دائما مسؤولا وأغلب

الوقت يكون شخصا عيبه الوحيد انه رجل .

- أرجوك ... كن رقيقا .

- هل تجدينني فظا ؟ ... ومع ذلك فليس هناك ما يثير استياك إلى
هذا الحد .

- وأرجوك الا تتهكم .

- أنت التي بدأت ...

وارتفع صوته ، وامسكها من ذراعها في عنف وقال :

- والآن ، اسمعيني ...

أرغمت "برو" نفسها على ان تحتفظ برباطة جاشها . كان يطلب منها
ان تسمعه ، ولكنه لم يتكلم . وفي أعماقها كانت تعرف تماما انها

أغاضته عمدا ، وانها خضعت في سبيل ذلك لحاجة قهرية وصاحت
وهي تقاومه :

- لا تلمسني .

والقت نظرة إلى الرواق كيفما اتفق . ولكن لم يكن أبوها موجودا ،
ولا "لوسي" لكي يخفا لنجدتها .

وإذ استدار "جوش" بدوره ، انتهزت الفرصة لكي تتخلص من
قبضته ، وأسرعت نحو الباب . ولكنه لحقها بدون مشقة ، وامسكها

من كتفها وأجبرها على ان تواجهه .

- لا تد ..

ولم تستطع ان تتم عبارتها ، فقد قاطعها في لهجة أمرة :

هل فرغت من إصدار أوامرك ؟ إنني لا أطيق النساء المتسلطات .

- هذا سيان عندي .

وما كادت تنطق بهذه العبارة حتى أحست بانها ارتفعت عن الأرض بيدي "جوش" القويتين . وادنى وجهها من وجهه . وبقيت لحظة بدون صوت ، متأثرة بالنظرة السوداء الحافلة بالعنف التي يحدها بها ، وفجأة قبلها كانت قبلة زاخرة بالجنون ، وجعلتها ضغطة شفتيه على شفتيها تكاد تختنق . وبعد بضع لحظات ألغت قدميها فوق الأرض من جديد ، ولكنها كانت تترنح كما لو أنها ثملة .

- لا تتعبي نفسك . إنني أعرف ما سوف تقولين ليس لي أي حق في أن أقبلك .

راحت "برو" تبحث عن أشد الكلمات قسوة لكي تعبر عن رأيها ، ولكن قدوم أبيها منعها من ذلك . وقال :

- الا تدخلان ؟ إن الجو جميل في الداخل .

- نعم ، نعم . حالا .

تقدمت "برو" في خطوات واسعة نحو أبيها ، وهي لا تزال تحت تأثير الصدمة . وتبعها "جوش" عن كثب . وعندما دخلت الصالون الكبير أحست بانها في أرض اجنبية ، لا ريب أنها جاءت هنا وهي فتاة صغيرة ، ولكنها لم تحتفظ بباية نكري . وكانت نار الحطب تشتعل في المدفأة ، وفي كل ناحية فازات بديعة من البرونز مملوءة بازهار الخريف .

- هل تتذكرين مدام كيللين "يا برو" ؟

قام "جوش" بتقديم كل منهما للآخرى . ومدت "برو" يدها في حركة مهذبة مخفية عداها بقدر المستطاع . وقالت :

- مساء الخير يا سيدتي .

- نحن سعداء بان نراك معنا يا "برو" .

كان صوت "لوسي كيللين" رقيقا وحرارا ... إن هي إلا مجرد مجاملة اجتماعية !

- وأنا سعيدة جدا ايضا .

ولم يسعها الا أن تلقي نظرة إلى الفتاة الجالسة على بعد . كانت هي نفس الفتاة التي رأتها صباح اليوم الذي قدمت فيه . ولكن ماذا

كان اسمها ؟

ولاحظت "لوسي كيللين" حيرتها فقدمت لها الرد الذي تنتظره :

- هل تتذكرين ابنتي "لينسي" .

حدقت "برو" في "جوش" ، وفي عينيها شيء من العتاب . هي اخته إذن ، وليست صديقه الصغيرة ، فلماذا إذن تلك المشاحنة في ذلك اليوم ؟ وماذا فعلت "لينسي" ؟ لماذا عاملها بتلك القسوة ؟ ، ثم لماذا تلك المعاندة ؟

- نعم . إنني أتذكرها .

وعادت إلى ابعد النواحي في ذاكرتها ، ورات فتاة صغيرة ، نحيفة ، ذات عينين واسعتين مشدوهتين دائما . لم تبد "لينسي" نحوها اهتماما كبيرا بحيث إنها نسيتها تماما حتى هذه اللحظة ، وقدمت لها مدام كيللين معلومات أكثر قائلا :

- إنها اصغر منك بكثير . بلغت الآن الثامنة عشرة .

حيث "برو" "لينسي" ، ورفعت هذه الاخيرة - لأول مرة - عينيها ورددت على تحيتها عابسة قائلا :

- صباح الخير .

أدركت "برو" أن الفتاة تعتبرها "راشدة" ولا ترى فيها صديقة مقبلة محتملة . وبعد أن حيث "لينسي" "برو" بذلك البرود غرقت في تأمل النار .

- أي شراب أقدمه لك ؟

وقع اختيار "برو" على كأس من عصير الفاكهة . وحاولت مدام كيللين كسيدة بيت ممتازة أن تبدو مرحة ، رغم التوتر المتزايد .

- تعالي واجلسي بجوار الناري يا "برو" . إنه المكان المفضل في البيت ، ولدينا ما يكفيننا من الحطب لقضاء الشتاء بأكمله . إن "جوش" يقطع الحطب من وقت لآخر ، والحطب هو قوام جزء كبير من مواردناو إن إدارة الغابات بدقة لعمل مرهق جدا .

قاطع "جوش" أمه قائلا في حدة :

- لا اظن أن إدارة القصر هم "برو" .

احتجت "برو" قائلا :

- بل على العكس .

وما كادت ترد حتى تسألت مرة أخرى لماذا شعرت بالحاجة إلى تكذيب 'جوش' .

ورماها هذا الأخير بنظرة تقول الكثير عما يظنه بها وبتصرفها . ورمته هي الأخرى بنظرة مدهشة تدل على النفور المتبادل بينهما . ولم يبدا على أحد أنه لاحظ الحرب الصامتة الدائرة بينهما . ومع ذلك فقد غيرت 'لوسي كيلين' مجرى الحديث بلباقة قائلة :
- مما يؤسف له أن خطيبك ليس معك . أرجو ألا تكون إسابته خطيرة .

- و أنا أيضا أرجو ذلك .
أحست 'برو' فجأة بأن ضميرها يوبخها و هي ترى أنها مشغولة بعدائها نحو 'جوش' أكثر من اهتمامها بمصير خطيبها .

- لعله كان يجب أن اتصل بوالديه تليفونيا لابلغهما ، ولكنني فضلت أن أنتظر حتى أتأكد من حالته ، فلا داعي لإفزعهما وركوبهما أول طائرة إلى إنجلترا إذا ما شفي 'دافيد' سريعا . ولكنه من ناحية أخرى ، إذا كانت الإصابة خطيرة فلن يغفرا لي صمتي أبدا .

إنني أنوي أن أمضي لزيارته غدا ، ثم اتصل بهما بعد ذلك .
تابعت مدام 'كيلين' حديثها قائلة :

- واين يقيمان ؟
- في 'سيدني' . على مقربة من بيت 'ماما' القديم .

اجتاحتها ذكرى أمها فجأة ، والتقت عينها في تلك اللحظة بعيني 'لوسي' ، وخيل إليها أنها تلمح ظللا من الانزعاج في عينيها الداكنتين . وفي نفس الوقت طرأت لـ 'لوسي' نفس الفكرة التي طرأت لها . موجة تخاطرية مرت بينهما ، واقتنعت أم 'جوش' قليلا .

واستطردت 'برو' كما لو أن شيئا لم يحدث :
كانا اعز الأصدقاء لأمي ، وقد ساعداني كثيرا بعد موتها .
تدخل 'جوش' في الحديث فقال :

- وبذلك تعرفت على خطيبك منذ وقت طويل خلاصة القول :
حب أطفال . اغاظتها لهجته الغظة وقالت :

- ولكننا لم نعد أطفالا .

- حقا . إنه يقود سيارته كالطفل على كل حال .

- أنت لست عادلا . كل هذا لأن حادثاً وقع له ؟

- ولكنه كان مسؤولاً ، فهو لم يكن منتبها للطريق .

- وما ادراك ؟

- لقد رأيته يقبلك في اللحظة التي أوشكت فيها السيارتان على الاصطدام .

أحمرت وجنتا 'برو' وقالت :

- ليس هذا ...

ولكن مهما يكن فما الذي تعرفه ؟ كل مشاهد الحادثة تشابكت في ذهنها وبعض المناظر الملحة كانت تظهر في مخيلتها بوضوح . وجه 'جوش' الغاضب ، والذعر الذي بدا في عيني 'دافيد' ، وارتطام السيارة بالجدار .

- ولكن لماذا كل هذه العدوانية يا 'جوش' ؟

رمت 'لوسي كيلين' ابنها بنظرة استهجان ، تجاهلها وهز كتفيه واستطرد بنفس لهجة :

- يبدو أنك نسيت يا أمي أنه كان يمكن أن أكون في المستشفى في هذه اللحظة ، أوريما بين الأموات ، وكل هذا لأن ذلك الرجل لم يكن ينظر إلى الطريق . صاحبت 'لوسي' في ارتباك :

- ولكن 'برو' ضيفتنا . أنا أسفة يا 'برو' . إن 'جوش' فظ الطباع .

- لقد لاحظت ذلك .

فتح 'جوش' فمه لكي يرد على 'برو' بعنف ، ولكن 'جيمس اللارديس' أراد أن ينهي المشادة فسبقه إلى الكلام قائلًا :

- الحق يا 'جوش' أنني يجب أن أرمم الجدران غداً ، ولكنني أحب أن يتناوب غيري هذا العمل ، لأنني يجب أن أمضي بـ 'برو' إلى المستشفى .

- لن يكون هذا بالأمر السهل ، فقد وجدت عناء كبيرا في إعداد قائمة المناوبات ، ولا أرى من يستطيع أن يحل مكانك . اسمع . أظن أنه من

الأولى أن اصطحب أنا 'برو' إلى المستشفى . لأنه يجب أن أمربها على كل حال .

قالت الفتاة :

- ولكنني استطيع ان استقل سيارة اجرة .
لم يرق لها ان تقع بينها وبين 'جوش' مواجهة اخرى ، ولكن لم يعلق احد على قولها ، وإنما تحولت مدام كيللين إلى 'جوش' وسألته :
- ولماذا يجب ان تمر بالمستشفى ؟
- يجب ان امضي لزيارة ذلك العجوز 'جاك' ارمسون .
- آه ، هذا صحيح ... لقد نسيت امره .
- لقد اجريت له عملية اول امس . واتصلت بي المريضة لكي تنبئني بان الزيارات مسموح بها .
- مسكين 'جاك' العجوز ! اليس من العجيب ان تجرى له عملية وهو في هذه السن ، خصوصا وأنه ليس له اي قريب في المنطقة ؟
اكفهر وجه 'جوش' عند هذه الفكرة وقال :
- لهذا السبب اريد ان اراه في اقرب وقت .
وافقته مدام كيللين قائلة :
- انت على حق يا 'جوش' ، فهو رجل كريم . ولكن من الذي يعني بكلابه وهو في المستشفى؟
- لا يشغلنك هذا الامر يا امه . إنني عنيت بالكلاب ... وبعصفور الكناريا . ارتفع صوت حاد عندئذ قائلا :
- إن 'جوش' يفكر في كل شيء دائما .
تحولت كل الانظار إلى كينسي التي اطلقت تلك العبارة . وعنفتها امها على الفور قائلة :
- الواقع يا كينسي ان 'جوش' يفكر في كل شيء . ولكن فيم يضايقك هذا ؟ ان تكفي عن توجيه اللوم إلى اخيك في كل لحظة ؟
- إنني اسفة حقا .
ونهضت كينسي على اثر ذلك ، واسرعت إلى السلم .
- كينسي ، عودي حالا .
ولكن 'لوسي' كيللين لم تتلق اي رد ، فاضطرم وجهها من فرط الغضب والارتباك ، والقت نظرة يائسة إلى 'جوش' وقالت :
- ما العمل ؟

- اجابها وهو يتنهد في غيظ : ستعود إلى الكلية قريبا ، ويسود الهدوء .
كان ظاهراً ان 'جوش' يبذل جهداً لكي يتمالك اعصابه . ونظرت امه إليه في حدة ، كما لو كانت تنشد مساعده . وقالت اخيراً :
- سوف يجهز العشاء قريبا واطن ان من الاوفق ان امضي لكي اعود بها .
ولكن 'جوش' منع امه قائلاً :
- كلا . بل دعها فوق . ستهبط إذا جاءت ، وإلا فسوف يفوتها العشاء ثم تحول إلى 'جيم' اللارديس وقال له :
- إذا اسعفك وقتك فامض لزيارة 'ارمسون' فسوف يسره ذلك .
قال 'جيم' :
- سوف افعل ، فإن صديقا عزيزا ك'جاك'
والتقت عيناه بعيني 'برو' فقال :
- ماتت زوجة 'جاك' منذ سنوات ، وكان له ولد ، ولكنه مات صغيراً ... اتذكرين يا 'لوسي' ؟
- الم يكن شلل الاطفال ؟ مهما يكن فقد كانت ميتة سريعة ، وقد كان ذلك فظيحا . ومما زاد من وقع المصائب ان ال 'ارمسون' لم يبرزقوا باطفال غيره لأن زوجة 'جاك' اصببت بمرض الصدر . ولكنني لا اتذكر جيدا ... فقد مضى على ذلك عهد طويل .
تأثرت 'برو' بمصير الرجل العجوز . وسرت في بدنها قشعريرة عندما تذكرت موت امها ، فقد وجدت نفسها هي الأخرى وحيدة ، بين يوم وآخر ولكن كان لديها 'دافيد' على الاقل ، ووالده للعناية بها .
وتكلم 'جوش' وقطع حبل افكارها قائلاً :
- بما انني يجب ان امضي إلى المستشفى غدا فساصطحب 'برو' ... وستضرب عصفورين بحجر واحد .
- هل استطيع المجيء ؟
صدر الصوت الخافت من السلم ، فاجفل الجميع ، وتحولوا فراوا كينسي كيللين واقفة اسفل الدرج .
حججها اخوها في استياء وقال :

- لن اصطحبك انت إلى أي مكان .
راحت الفتاة تضرب الأرض بقدميها ، ونظرت إلى 'برو' في ضيق ،
وصاحت مدام كيلين :
- إنها لفكرة رائعة . إن 'چاك' يحب 'لينسي' كثيرا كما تعرف يا
'جوش' . فلماذا لا تصطحبها ؟
- بعدما اقدمت عليه الليلة ؟ ... لا يبدو لي انني سمعت حتى ولو
كلمة اعتذار .
- إنني أسفة ، فقد تركت لغضبي العنان ... هانذا قد اعتذرت ...
فهل تصطحبيني ؟
قالت 'برو' في لهجة مهذبة :
- ساكون مسرورة بان تلازميني في الطريق .
نظر إليها ابوها 'ولوسي كيلين' في امتنان . ولكن 'جوش' على
العكس ، رماها بنظرة غاضبة . اما 'لينسي' فقد تخلت عن فظاظتها
لحظة ، وشكرت 'برو' بابتسامة صغيرة من ركن شفيتها وقالت :
- حسنا . لقد سويت المسالة إذن .

الفصل الرابع

عندما هبطت 'برو' في صباح اليوم التالي لتناول طعام الفطور،
كان ابوها قد غاب البيت لعمله . وكانت امرأة طويلة القامة ، نحيفة ،
منهمكة في تلميع أرضية الصالون ، وكان الشمع الذي بسطته فوق
قطع الموبيليا يموج في فورات حلوة من 'اللاوند' .
وإذرات 'برو' ، نظرت إليها فاحصة ثم اومات لها براسها قائلة :
- صباح الخير . اعتقد أنك ابنته ... إنه خرج منذ وقت طويل .
لمست 'برو' ظلا من الشك في تلك الكلمات . ولم يكن ذلك بغريب ، فقد
اخبرها ابوها أن 'بيتي كين' ليست سهلة المقابلة . كانت تلك المرأة في
نحو الأربعين من عمرها ، شغالة ممتازة ونشطة ، ويبدو انها عزوفة
عن الحديث بعض الشيء - إنني فرغت من المطبخ ، ويمكنك أن تعدي
الفطور لنفسك إذا أردت . اما أنا فسااستمر في عملي .
وعادت إلى عملها بكل نشاط ، وعدلت 'برو' عن إطالة الحديث معها .
اقبل 'جوش' في الوقت المحدد . وكانت 'لينسي' في المقعد الامامي
فجلست هي في الخلف . وقطعوا المسافة في صمت تام .

بلغوا المستشفى ، قيل لهم إن دافيد " وچاك " في نفس الغرفة . ولكن بينما كان دافيد يرقد في فراش بجوار النافذة ، كان فراش الرجل العجوز بجوار الباب ، وذلك لكي تتمكن الممرضة من مراقبته باستمرار . وعندما مرت أمام فراش "چاك " أرمسدن " ، أحست بالرائع والشفقة ، فقد كان وجهه ممتعقا . وشعرت بارتياح مزدوج وهي ترى أن دافيد في حالة أحسن بكثير . كان يعتمد بظهره على الوسائد . وتحيط بصدرة ورأسه الضمادات . ورغم شحوبه . فقد استعاد عينيه الضاحكتين ، واستقبل "برو" بابتسامة عريضة وقال :

- صباح الخير يا حبيبتي .

- إنني انشغلت عليك كثيرا . ولكن يبدو أنك في أحسن حال . وانحنيت لكي تقبله فقال :

- ما إن تكوني هنا حتى يكون كل شيء على ما يرام .

أدنت "برو" مقعدا وجلست بجوار الفراش .

- إن صحتك أحسن على كل حال من المرة الأخيرة التي رايتك فيها .

- ثم إنك لم تريني أمس . ظننت صراحة : أن ساعتني الأخيرة قد أزفت . وتاهبت لتحرير وصيتي ، ولكنني ما كنت لأستطيع أن أمسك القلم على كل حال ، ابنتمت "برو" له ، وضغطت على يده بقوة :

- أي حبيبتي المسكين . ما أسعدني بأن أراك تسترد صحتك هكذا حالا . كنت أخشى أن اتصل بابويك لأخبرهما بالإنباء السيئة .

أكفهر وجه دافيد وقال :

- هل عرفا ؟

- ليس بعد . كنت أنتظر أن أرى مدى إصابتك . لم أشأ أن أزعجهما بلا شيء . وافقها دافيد " ، وقال في ارتياح :

- إنك أحسنت صنعا . أظن من الأفضل ألا تتصلي بهما تليفونيا . ما إن أغادر المستشفى حتى أرسل إليهما بطاقة بريديّة و لن أخبرهما بالحادثة إلا عند عودتنا .

- ولكن لا يمكنك أن تفعل هذا يا دافيد " .

أغاضته سحنة "برو" المستاءة وقال :

- تعرفين جيدا يا "برو" أننا إذا أخبرناهما فسوف يتخذ الأمر

أبعادا جسيمة ... وسيفسدان علينا رحلتنا .

ولكن "برو" بقيت على تشككها وقالت :

- ولكنهما سيلوماننا على صمتنا عندما يعلمان .

قاطعها بحركة متهاونة من يده وقال :

- دعني الأمر لي .

هكذا "دافيد" دائما ، واثق من نفسه ، ومقتنع بأنه يستطيع إملاء

ما يريد على الجميع .

- حدثيني الآن عن أبيك يا "برو" ، وعن المزرعة .

لم تشأ أن تخلق مشكلة له ، فالوقت غير مناسب ، فاطلعت على

لقائها بابيها ، ووصفت له البيت ، وفي صوتها رنة غنائية ، وبثته

حزنها على موت الكلبة الوفية .

ابتسم دافيد " في رفق وقال :

- أنت سريعة التائر دائما .

- ضع نفسك مكاني وفكر في كلبك الذي ينتظرك في "سيدني" .

ستتجمد من الحزن عليه إذا عرفت أنه مات أثناء غيابك . ابنتسم موافقا وقال :

- هذا صحيح . إن "نودجر" كلب عجوز أحمق .

- وستنرف أمك كل ما في عينها من نموع .

ورمته "برو" بابتسامة فاتنة وقالت :

- دافيد . إنني أفكر بإخلاص أنه يجب أن نتصل باستراليا

تليفونيا . لن يفهم والداك لماذا أخفينا عنهما الحقيقة حتى عودتنا .

- أوه إنني واثق أنهما لن يغضبا مني .

لم تزد ثقة دافيد " "برو" إلا قلعا :

إنهما لن يغضبا منك ، ولكنني لست واثقة أنهما سيغفران لي ذلك .

لن تجرؤ مدام "هينلي" أن تقول شيئا لابنها ، ولكنها ستلومها هي ...

وستكون على حق .

- من الخير أن أخبرها يا دافيد " ، فإن لهما الحق في أن يعرفا .

توترت ملامح دافيد " في تكشيرة وقال :

- هلا كلفت عن مضايقتي ؟

- إنني لا أريد مضايقتك ، وإنما أريد
 - بحق السماء إنهما والداي ، وليس والديك .
 - عشت 'برو' شفيتها ، في حين استطرد هو :
 - تعلمين أنني شاب ناضج الآن ، وليس بي أية رغبة في أن أراها
 يهبطان من الطائرة هنا . ستحزن أمي على مصيري ، وسيمطرنني أبي
 باللوم ، وأنت تعلمين تماما أنه يعتبرني سائقا أهوج . ما إن يعلم بما
 حدث حتى يتصور أنني المسؤول عن الحادث ... وهذا واضح . وإذا
 جاء هنا فسيريدان إعانتني إلى 'أستراليا' على الفور . وقد قطعت كل
 هذه الكيلومترات لسبب محدد تماما ، وهو أنني أريد اكتشاف
 أوروبا . ورغم الحادث فإنني لن أرحل من هنا قبل أن أفعل ذلك .
 - ولكن يا 'دافيد' ...
 قاطعها خطيبها بصوت جهوري :
 - هلاً كلفت عن التأوه .
 كان الدم قد تصاعد إلى وجهه .. ولعت عيناه من فرط الغضب .
 وأدركت 'برو' أنه ليس في حالته الطبيعية ، فليس من عادته أن
 يتصرف هكذا ، كفتى متقلب الأطوار .
 ولكن الغلظة غلظتها أيضا ، فقد كان يجب أن تراعيه بدلا من أن
 تتعالى في معاملته .
 لغت مشاخصتهما اهتمام المرضة ، فاقتربت من الفراش ، ونظرت
 إلى 'دافيد' نظرة فاحصة ، ثم تحولت إلى 'برو' مكثرة وقالت عاتبة :
 - من الأوفق أن تنصرفي الآن ، فإن مسيو 'هينلي' لا يزال تحت
 تأثير المخدر ، وهو بحاجة إلى الراحة .
 - ولكن لا يا أنسة . ليست حالتي بهذا السوء .
 لم ترق 'دافيد' فكرة أنه لا يزال ضعيفا ، ولكن المرضة قالت في
 إصرار :
 - لست في وضع مناسب لكي تحكم على حالتك يا سيدي .
 كثر 'دافيد' ، في حين نهضت 'برو' مرتبكة ، تحت نظرة المرضة
 الصارمة .
 بدا الشاب متعبا ومرهقا جدا عندما انحنت 'برو' لكي تطبع على

شفتيه قبلة . ولكنه حول رأسه في اللحظة الأخيرة ، وكان واضحا أنه
 فعل ذلك متعمدا ، وإن غضبه لم يتبخر وهمست 'برو' في أذنه :
 - سامحني لن اتصل بوالديك . هذا وعدمني ، فلا تغضب يا
 حبيبي . إنني أحبك .
 وسعلت المرضة سعلة قصيرة وهي تضرب الأرض بقدمها في قلق .
 وعاد 'دافيد' إلى نفسه وحيا 'برو' بابتسامة عريضة وقال :
 - عودي غدا .
 اجتازت الفتاة الغرفة الكبيرة ، وعندما بلغت الباب تحولت لكي
 ترسل قبلة إلى خطيبها ، ولكن ذهب جهدها سدى ، فقد اطبق 'دافيد'
 عينيه . وكان صدغاه لا يزالان حمراوين جدا .
 استولى عليها إحساس بالذنب وهي تسير في أروقة المستشفى
 نحو باب الخروج ستنظر في العربة عودة 'جوش' و'لينسي' . عندما
 مرت بجوارهما منذ لحظات لم تسمع أية كلمة ، وكان الرجل العجوز
 ناعسا ، فارتكت انهما لن يتاخرا في العودة إذن .
 وجدت 'برو' السيارة مقفلة بالمفتاح ، فمضت وتجولت في الحديقة
 الملحقة بالموقف .
 وكانت ريح الخريف قد غطت الكلا بالأوراق الميتة ، وبدت تلك
 الأوراق تحت قطرات المطر كأنها صبغت بالوان متعددة ... باللون
 النحاسي والرمادي والذهبي . وهدات خشخشتها تحت قدميها
 ذهنها المضطرب . كانت تفكر وهي تمشي في 'دافيد' . ولم يسبق أنه
 راته بمثل تلك الكابة . ولكن كان الأمر عاديا جدا بعد الصدمة المزدوجة
 التي تلقاها من الحادثة والعملية .
 فما اغباها . لماذا اضطرت إلى خلق تلك المشادة . إنها لتستحق
 الصفع .
 كان 'دافيد' على صواب في اعتراضه على أن تبلغ والديه ، فما كان
 لأبيه إلا أن يتهمه حتما بأنه المسؤول عن الحادثة . وما كان ليخطئ
 أبدا ، فقد أبدى 'دافيد' تهورا ، وإنها لمعجزة حقا أن نجا كل منهما ،
 وهي معجزة ساهم فيها 'جوش' بالكثير ، لا بد من الاعتراف بذلك .
 افتقر 'دافيد' دائما إلى ردود الفعل ، على أن هذه الحادثة لم تكن

الأولى ، وما كان أبوه ليتردد عن أن يذكره بذلك ، خاصة وأنه لا يطيق اللوم . فهو أكثر الرجال رقة وظرفا طالما مر كل شيء على ما يرام ، ولكن المشاكل والمسؤوليات كانت تخيفه . كان يرى الحياة كبلاج شمس ، ويهرب عند اقتراب أية سحابة .

كان في "استراليا" يحب قضاء أيام العطلات على البلاج ، وتناول المشروبات مع أصدقائه ، والقبيلولة بعد ذلك في أرجوحة وثيرة ، فكيف لا تغريها مثل هذه الحياة الرقيقة المترفة لم يحدث أن وجدت "برو" ما يدعوها إلى أن تشكو أبدا ، وكانت المشادات بينها وبين "دافيد" نادرة ، وغير جدية على الإطلاق حتى الآن ، فما الذي أغضبه اليوم ؟

أعادها صوت أقدام على الحصى إلى عالم الواقع . وتقدم "جوش" منها وشعره يتطاير في الهواء وجسده المشقوق يتهدى في أنيقة في سترة واسعة من التويد وينطلقون رمادي . كان وحده . ولم تكن "لينسي" معه . وقال في حدة وهو يراها :

- حسنا . كانت زيارة وجيزة .

أحست "برو" بوجهها يصطبغ وقالت :

- إن "دافيد" لا يزال ضعيفا جدا . وقد انصرفت لأن الممرضة أمرتني بذلك .

- لماذا أنت دائما في حالة دفاع ؟
- لا أفهم ما تعنيه .
لم تكن "برو" في حالة دفاع ، وإنما ثائرة الأعصاب فحسب ، فمرة أخرى يتدخل "جوش" فيما لا يعنيه . وسألته لكي تغير مجرى الحديث :

- أين أختك ؟

أجابها جوش في فتور :

- مضت لكي ترى خطيبك .

استولى الذهول على "برو" ، في حين استطرده "جوش" :

- نعم . إنها رأت أنك لم تات إليه بازهار فأسرعت إلى المحل الملحق بالمستشفى لكي تشتري باقة .

قالت وقد تملكها الغضب :

- هذه مكربة منها حقا .

وفكرت :

- ما أشبه الأخت بالاخ ! هذان الاثنان لا يدخران حقا وسعا في التدخل في شؤون الغير . لم تنس "برو" الأزهار وإنما خطر لها أنه لن يحب ذلك . فكيف تصرف إزاء هذا التدخل السافر من امرأة مجهولة ؟
أواه ... إن "لينسي" صغيرة جدا بالتأكيد ، وفاتنة .. لا ريب . إنه اغتر بهذا الاهتمام .

حدق "جوش" في "برو" وقال :

- يخامرني إحساس بان هذا لم يرق لك .

- أبدا ... وإنما أنا ممتنة لها كثيرا .

- حقا ؟

ورماها "جوش" بنظرة متشككة وقال :

- خيل إلي أنك تشاجرت أنت وخطيبك ... فهل الأمر خطير ؟

كان يتجسس عليها بالتأكيد ، وقالت :

- كلا . كل شيء على ما يرام .

خرجت "لينسي" من المستشفى في هذه اللحظة متألقة الوجه ، وانضمت إليهما . وألقت إلى "برو" نظرة تحد وقالت :

- أرجو الا تحقدي علي بسبب الأزهار .

بلت لهجتها الوقحة بوضوح على أنها تتمنى العكس .

- لا عليك . إنني واثقة أنه ، في حالته هذه ستضع أزهارك بلسما في قلبه .

- اعتقد أنها سرته في الواقع .

تسللت "لينسي" خلف السيارة ، وقد أصابت ملاحظتها غرضها ، وهي الإيحاء لـ "برو" بالإحساس بالذنب ، ثم استأنفوا السير ، فجلست "برو" في المقدمة بجوار "جوش" وفجأة مالت "لينسي" فوق أخيها وقالت :

- هل يمكن أن تتركني في القرية إذا سمحت يجب أن اكلم شخصا في التليفون .

- ومن هو ؟

- هذا لا يعنيك .

القت 'برو' نظرة إلى 'جوش' ، ولحظ ذلك الأخير فقال :

- اسمعي يا 'لينسي' لابد أن نقولي لي بمن ستتصلين .

- بـ'كارولين' إذا كان هذا يهمك .

- ولماذا كل هذا الغموض مادمت ستتكلمين 'كارولين' ؟

نظرت 'برو' إلى المرأة العاكسة لكي ترى 'لينسي' . هل ستتكلم حقا

مع هذه الـ'كارولين' ، أوتراها اختلقت هذه القصة لكي تسكت أخاها .

- ولماذا يجب أن أخبرك بكل حركاتي دائما .

اغتاظ 'جوش' من تصرف اخته . ولكن لم يسعه إلا أن يذعن .

- حسن جدا . ولكنني أنذرك ... من مصلحتك أن تعودي سريعا .

- أعدك بذلك أيها السيد المشاكس .

- تعرفين أن ماما ستقلق إذا غبت كثيرا دون أن تدري أين كنت .

تنهدت 'لينسي' تنهيدة عميقة ردا عليه . ومرت عشر دقائق في

صمت تام .

وعندما دخلت العربية القرية ، خرجت 'لينسي' من صمتها وقالت :

- يمكنك أن تتركني أمام مكتب البريد ، فقد وعدت 'دافيد' أن أشتري

له بطاقة بريدية .

ذهلت 'برو' . 'دافيد' ؟ ... يخيل إلى من يسمع 'لينسي' أنها تعرف

خطيب 'برو' منذ وقت طويل . هل طلب منها حقا هذه البطاقة أم أنها

مبادرة من 'لينسي' . رمت 'برو' الفتاة بنظرة صاعقة . ولكن هذه

الآخيرة تظاهرت بانها لم تلاحظ شيئا .

وما إن أوقف 'جوش' السيارة ، حتى وثبت 'لينسي' منها إلى

الأرض ، وصفقت الباب خلفها في عنف . وتابعتها . 'برو' بعينها !

ما أغربها من أسرة لم يكن الكتمان شيمتها . ما الذي تأمله 'لينسي'

من اللف هكذا حول 'دافيد' كان يجب عليها هي بالتأكيد أن تسأل

'دافيد' عما يريد . ولكنها بدلا من ذلك تشاجرت معه . والواقع أنها لم

تغفر لـ'لينسي' أنها تصرفت معه كما كان يجب عليها هي أن تتصرف .

وسالت 'جوش' في سخرية :

- هل تتمررن أختك على أن تكون مساعدة اجتماعية ؟

- أوه ، يخال إلي أن القطة تنشب أظفارها !

ورمقها بابتسامة عريضة ، ولكنها لم تبتسم وسالته :

متى تعود إلى كليتها ؟

- قريبا جدا . لا تقلقي .

بدا كان الموقف يثير طرب 'جوش' ، ولكن 'برو' لم تكن معتدلة المزاج

لكي تضحك ، واحتجت قائلة :

- لست قلقة .

انفجر 'جوش' ضاحكا وقال :

- هل أنت واثقة ؟ ألا تكوني غيورة بالمصادفة لاهتمام اختي

بخطيبك ؟

- أوه إن هي إلا طفلة . وبهذه المناسبة ، هل تتعلق دائما بأول من

تراه ؟

أعرف إن هذا كثير الوقوع مع المراهقات .

- هل تبدو مراهقة حقا ؟

- يخيل لي أنها ليست إلا في الثامنة عشرة .

اجتازت العربية في هذه اللحظة بوابة المزرعة . وتظاهر 'جوش'

بالتفكير وقال :

- أرى إن 'لينسي' قد أصبحت امرأة ، وهي في سن الزواج قانونا .

ويمكنها أن تحصل على رخصة قيادة ، أو أن تتطوع في الجيش .

وضغط بيده على الفرملة . ونظر إلى 'برو' ، واستطرد :

- لا تهتمي بها . إنها رومانسية بطبيعتها ، وخطيبك بالأحرى

شاب وسيم ، ثم إنه ملازم للفراش بالمستشفى ، على بعد أميال من

بيته . وهذا يكفي لكي يجعله مثيرا في عيني اختي .

أثرت هذه الكلمات على 'برو' ، بحيث جعلتها تغير حكمها على

'جوش' ، فالمشاعر التي يوحى بها إليها كانت غريبة ، وكانت تتمنى

في بعض اللحظات لو كان معها بندقية لكي تطلق رصاصة على رأسه

وفي لحظات أخرى كهذه ، كان يعرف كيف يكون مجاملا وظريفا حقا

إن آل 'كيلين' بالنسبة لها سحرغامض وابتسم 'جوش' لها في شيء

من الخبث وقال :
- فيم تفكرين ؟
اجفلت 'برو' وقالت :
- عفوا !
وحدقت في عينيه مليا ، في القزحية الداكنة تلمح ومضات صغيرة
سمراء وذهبية لم تلاحظها من قبل ، فقال :
- إنك تنظرين إلي بطريقة ملحمة .
كان وجه كل منهما قريبا من الآخر ، واستولى الارتباك على 'برو'
قليلا ، واحست بان وجنتيها مضطربتان ، فقالت في شيء من
الخبث :
- كنت افكر .
- لم ار ابدا عينين بخضرة براقه كعينيك .
كان يتكلم في رفق ، وادنى يدا ملاطفة من خد 'برو' ، ورجعت إلى
الوراء عند لمسته ، وحولت رأسها وقالت :
- اشكرك لاصطحابك لي . سامضي الآن إلى أبي .
وامسكت بمقبض باب السيارة بنشاط وفتحتة وأسرعت بالهبوط ،
وحذا 'جوش' حذوها ، وتقدمت ووقف امامها وقال :
- إن أباك ليس هنا . ستجدين المفتاح في إصيص الأزهار ، على
حافة نافذة المطبخ . تعالي ، ساريك .
- واين أبي ؟
وتبعته في صعوبة ، لانه كان يسرع في خطاه .
- في 'ويند هيل' ، حيث يقوم بترميم بعض الجدران الصغيرة .
صاحت تقول :
- اه . هذا صحيح . كيف استطعت ان أنسى ؟
رمقها 'جوش' بنظرة جانبية :
- يخال إلي ان عقلك في مكان آخر .
ما الذي يوحي إليه ؟ لم تقدر 'برو' ملاحظات 'جوش' المغرضة .
و في خلف البيت ، اخرج 'جوش' المفتاح من مخبئه . وشكرته 'برو'
في حدة ، ومدت يدها لكي يعطيها المفتاح ، ولكنه تظاهر بانه لم ير

حركتها وفتح الباب بنفسه .

- اشكرك . اظن انني أستطيع ان اتدبر امري بنفسي .
اصم 'جوش' اننيه ، وافسح لها الطريق ، وتركها تدخل . وترددت
الفتاة لحظة ، في التصرف الذي يجب ان تسلكه . كانت اللحظة غير
مناسبة لكي تصد الباب في وجهه ، فمهما يكن فإنه بذل جهدا لكي
يببدو مجاملا . فتركته يدخل البيت إذن خلفها ، وأغلقت الباب خلفه .
- شكراً جزيلاً لك .
ورغم ما بذلته من جهد لكي تبدو مهذبة ، فإنها لم تشعر بالارتياح ،
فقد تواجدا وحدهما من جديد في هذا البيت الكبير الشاغر . وفي كل
مرة يكونان فيها معا من غير ان يكون معهما احد ، كانت تشعر بان
إحساسا غريبا يجتاحها ... مزيج من الانجذاب والنفور لا تدري له
سببا .
ينبثق فيها إغراء لا يمكن للعقل ان يوقفه ، وكل خلية من خلايا
جسدها كانت تغلي بذلك الاضطراب الداخلي الذي تردد ويتسع . لم
تشعر ابدا باي شيء قبل ذلك ، وهذه البلبلة الغريبة كانت تجربها من
كل سلاح .
- لن يعود ابوك قبل الليل .
الحمد لله ، فلا يبدو ان 'جوش' قد لاحظ ما بها .
- ليس لهذا اهميته . سانتظره بهدوء .
قال في صوت رقيق جدا :
- تعالي معي إذن . سنتناول الشاي مع امي .
هزت رأسها وقالت :
- اشكرك كثير . ولكن ...
- سوف يسرها ان تراك .
- كلا ، حقا . لدي غسيل وكفي للملابس في انتظاري .
كان مجرد ذكر اسم مدام 'كيلين' قد اجفلها . وعبس 'جوش'
وحدها بصرامة وقال :
- ماذا لديك ضد امي .
رفعت 'برو' عينين مشدوهتين إزاء هذا الاتهام غير المتوقع وقالت :

ك ... كيف ...

- ما الذي يملكك على الظن بانني ...
- ما إن نتكلم عنها حتى يتغير وجهك . أنت لا تعرفين إخفاء شعورك جيدا ..
ولديك شيء ضد امي بكل وضوح .
ظهر الكبر على وجه 'برو' وقالت :
- الواقع انني احبها كثيرا . وانا واثقة انك تعرف السبب تماما .
توتر وجهه ، وبدا انه يجد صعوبة كبيرة في الاحتفاظ بهدوئه وقال :
- ليس لدي اية فكرة . ولكنك ستقولين لي .
اجابت وهي ترتجف من فرط الغضب :
- لا تتظاهر بانك لا تعرف .
- ولكن إلام تشيرين في النهاية ؟
شدت الضغط على قبضتها وقالت في صوت اصم :
- إنني اشير إلى امك ... وإلى ابي .
- اه !
بقى وجه 'جوش' جامدا ، في حين استطربت الفتاة :
- إنني اعرف كل شيء . ذكرت لي امي كل شيء .
والآن ، وقد رأيتهما معا : اعرف انها قالت الحقيقة . فلا تحملني على الاعتقاد بانك لم تلاحظ شيئا .
تغلب هدوء 'جوش' على عجزفتها وصلفها . وراح يسبر بعينيه الناقتين عيني الفتاة لكي يلمح فيهما انعكاس افكارها . وكان ظاهراً انها لمست نقطة حساسة . ولا ريب انه كان يعرف الحقيقة . منذ وقت طويل . ولكنه اثر أن يفحص عينيها .
وفجأة ، وبحركة مباغتة امسك 'جوش' بالبراد ومضى ليملاها من الصنبور . وبهشت 'برو' وقالت :
- ماذا تفعل ؟
- اعد الشاي كما تريد .
بقيت مذهولة إزاء تلك الوقاحة وقالت :
- اسمع ... كن ظريفا ... إنني افضل البقاء وحدي .

- لدي شيئان او ثلاثة اريد ان اتحدث فيهما اولاً ، وانا بحاجة إلى فنجان شاي قبل ان اتحدث معك .
نظرت إليه مشدوهة وهو يخرج فنجانين وملعقتين وزجاجة من اللبن دون أن تفكر حتى في الاحتجاج . وقالت :
- لا تجد اي حرج في البقاء هنا كما لو كنت في بيتك ، وتتصوران لك حقوقا قبل المستاجرین بحجة انك تمتلك الأرض .
حاول 'جوش' أن يتمالك أعصابه طوال الوقت . ولكن العبارة الاخيرة كانت أكثر مما يحتمل ، فاستدار على عقبه وواجه 'برو' وقد استشاط غضبا . وحسبت انه سيضربها ، فتراجعت متعثرة ، وارتمت ابتسامة ساخرة على شفطي 'جوش' وقال :
- لك الحق في ان تخافي ، فلو لم اتمالك نفسي لصفعتك . ومن حسن حظك انني اتمالك نفسي افضل منك ... والآن ، ولا كلمة واحدة حتى افرغ من إعداد الشاي .
- إنني امنعك من ان تكلمني بهذه اللهجة .
عارض الخوف الوجيز انقضى ، وعادت إليها كل شراستها . ولكن لم يكن مستعدا للمقاومة وقال في صوت لاذع : اجلسي .
وإزاء قسوته وحدته ، رات 'برو' أن من الأوفق أن تطيع . ونظرت إليه وهو يصب الشاي وهي لا تشعر بالاطمئنان على الإطلاق . ماذا يريد أن يقول لها ؟ ولم تستطع أن تصبر فقالت :
- لعلك كنت تفضل ان اتظاهر بانني اجهل كل هذه القصة لا تقلق ، فليس في نيتي ان اجهر بها علانية إنني لم اقل شيئا لأبي .
وتملكها مشاعر مختلطة . فناولها 'جوش' فنجانا بحركة خشنة بحيث اوشك أن يفلت منها وقال :
- لا احب طريقتك التي تنظرين بها إلى امي ، ومراقبتك لها بمجرد ان تخاطب اباك .
ضحكت ضحكة مريرة وقالت :
- إن ذلك ليحز في قلبي . ولكن لدي اسبابي بالتأكيد . ولا يمكنك ان تفهمها ... وإذا كنت كذلك فذلك لانني عشت بجوار امرأة ساخطة لعدة سنوات .

عذبتها الضرر الذي الحقته بها امك . كنت اعتقد في بعض الاحيان ان الامر مجرد هذيان سببه السخط والإحباط ، ولكنني ارى انها لم تخلق شيئا .

اعتمد 'جوش' على الجدار وحدها :
- لهذا عدت إذن ؟ لم تاتي لكي ترى اباك ، اليس كذلك ؟ اردت ان تعرفي الحقيقة فيما يتعلق بهذيان امك فحسب .

هزت كتفها وقالت :
- اتيت لأسباب عدة . اردت ان ارى ابي ، وان اعيد الصلة بكل ذكريات الطفولة . ثم ، وهذا صحيح ايضا ؛ اردت ان اعرف الحقيقة .

- ما لم تكوني قد اتيت للانتقام من كل الذين تسببوا في عذاب امك . لم تكن لهجة 'جوش' تقسم بالاتهام ، وإنما بالازدراء فحسب .

هزت 'برو' رأسها واجابت :
- ليس هذا اسلوبى . قد تكون انت جديراً بمثل هذا الانتقام ، اما انا فأننى من الحساسية بحيث لا استطيع الإقدام على شيء كهذا .

- اوه ... لم يخطر لي ابدا انك مجردة من الإحساس .
كان يتكلم ، رغم ابتسامته ؛ بلهجة ساخرة ، اصابت هدفها وهي مضايقة 'برو' ، وعاد يقول في رفق بعد فترة صمت :

- وإن كنت ... بعد ان رايتك مع خطيبك منذ قليل ... بدأ الشك يداخلني ، اصابت هذه العبارة الوتر الحساس في 'برو' فمئذ ان غادرت المستشفى لم تكف عن الإحساس بالغضب من نفسها بسبب مشادتها مع 'دافيد' . وقالت :

- ماذا تعني بقولك هذا ؟
- هل 'دافيد' عشيقك ؟

تكلم 'جوش' بلهجة طبيعية جدا ، فاصطبغ لونها ، واحست بانها اصيبت في نقطة حساسة اخرى ، فمئذ شهور و'دافيد' يلاحقها ويطلب منها ان تمارس الحب معه ، ولكنها آثرت ، ربما بسبب فشل زواج ابوها ؛ ان تؤجل حلول هذه الهبة النهائية ... ورغم لهفة 'دافيد' لم يسعه إلا ان ينحني امام رغبة خطيبته .

لمعت عينا 'جوش' ، وبدا عليه الانتصار فقد فضحها صمتها .

- إنه لم يلمسك إذن ابدا ... كنت في شك من ذلك .
اجابت وهي تضغط على قبضتها في انفعال :

- اهتم بشؤونك فقط .
اوه ، شد ماتكرهه ؛ كيف استطاع ان يخمن .
- هل يعرف ؟
- يعرف ماذا ؟

- إن امك فطمتك من الحنان ، وإنك لا تكادين تعرفين معنى كلمة الحب .
كان ذلك اكثر مما تستطيع احتماله . ومن فرط غضبها قذفته بفنجان الشاي . ولكن لحسن الحظ كان سريع البديهة بحيث ابتعد وتجنب الماء الساخن ، إلا ان 'برو' كانت قد احسنت التصويب احسن مما ارادت ؛ لان الشاي لوث القميص والسترة .

ذعرت 'برو' من النظرة الشريرة التي ارتسمت في عيني 'جوش' ، وخشيت ردا عنيفا من ناحيته ، وبدأت تشعر بالندم على ما فعلت ، في حين صاح 'جوش' وهو يجرز على اسنانه :

- يالك من فتاة مزعجة .
ومد ذراعه ليمسك بها ، ولكنها تمكنت من الإفلات ، واندفعت إلى السلم لكي تصعد إلى الطابق الأول . غير انها ماكادت تصل إلى العتبة حتى لحق بها .

ارادت ان تعتذر ، ولكنه لم يترك لها الوقت لذلك ، فقد أمسكت بها يدان قويتان ، وراحت تقاوم وهي تضرب بيديها كيفما اتفق ، وفجأة سمعت صوت كفها على خد 'جوش' ، ووقف الاثنان وقد فقدوا النطق .

ثم اطلق 'جوش' سبة ، وضم في ذراعيه القويتين معصم المرأة الشابة ، والصق ذراعيها بجسدها ، ودفعها إلى الحائط ، وشل حركتها بالضغط الذي مارسه بجسده القوي على جسدها .. واحست بانها على وشك ان تفقد رشدها ، واضطرت إلى التنفس بعمق قبل ان تتكلم .

- لا تلمسني .
- هل تحسبين انك ستفعلين بفعلتك هذه بسهولة ؟

احست 'برو' بقلبها يزداد في خفقانه ، وكان من المستحيل عليها التخلص من قبضتيه التي تخنقها وجعلها الإحساس بذلك الجسد على جسدها تفقد رشدها احست بصدر . 'جوش' يرتفع في إيقاع سريع وبنافاسه الملتهبة على وجهها وقالت :
 - حسن جدا .. إنني اسالك الصبح ... ايكفيك هذا ؟ ... دعني الآن .
 - وهل هذا اعتذار ؟ ... ما الذي حملك على إلقاء فنجان الشاي في وجهي . إنني فقتت رباطة جاشي .
 - وهل يبدو لك من الطبيعي ان يتصرف المرء هكذا عندما يفقد جاشه ؟
 كانت اللهجة ساخرة ، واحست 'برو' بالخجل كما لو كانت طفلة تتلقى تعنيفا . ولكنه كان على حق على كل حال ، فقد تصرفت كأنها شخص لا يقدر المسؤولية ، واحتجت قائلة :
 - انت اهتنتني .
 - كلا . إنما أريتك الحقيقة فحسب . فقد حان الوقت لكي تواجهيها .
 - ولكنها ليست الحقيقة .
 - اوه ... بلي . كانت امك تعاني مشاكل نفسية كثيرة ، وقد ارهقتك بتلك المشاكل ، وانت تهتمين بقصة قديمة عمرها عشر سنوات ، أكثر من اهتمامك بالرجل المفترض انه خطيبك .
 - لا تكن سخيفا .
 - إنك قضيت كل هذه السنوات من غير ان تتصلي بابيك ولو مرة واحدة . ولم تتكرمي بالرد على خطاباته . ولم يكن بمقدورك ان تعرفي كم كان يحبك ، وكم كان يفتقدك . وإذا كنت قد اتيت اليوم فليس ذلك لكي تساليه السماح ، فهل تنكرين ؟ ولكن ربما أزف الوقت لإعادة حكمك على هنيان امك
 خرجت 'برو' عن طورها وقالت :
 - ربما . ولكن هذا لن يغير شيئا من العلاقة التي تربط امك بابي .
 وإنني افهم الآن انه يزعجك الاعتراف بذلك ، ولكنهما عاشقان منذ سنوات . وبسبب هذا اصيبت امي بغصتها .
 - وبنت إليك مرارتها .

استشاطت 'برو' غضبا ، وتجمدت فجأة مدركة بقرب وجهيهما . رأت كل غصنة في وجهه ، وكل سمة من سمات بشرته ، وكل لمحة من ملامحه . كما لو كانت ترى كل ذلك من خلال منظار مكبر ، وقالت بصوت واهن غير ثابت النبرات - إنني احب 'دافيد' . كما لو ان مجرد نكر هذا الاسم يرفع حاجزا بينهما وبين 'جوش' .
 ولكن فم 'جوش' ارغمها على الصمت . اوه . لم يقدم شفتيه إلا ببطء شديد . وكان امامها كل الوقت لكي تحول رأسها ... ولكن منعها من ذلك ضرورة قصوى وبفعة طبيعية ، كقوة التيار الذي يعصف بالأمواج . وتلاقيا معا في قبلة مضطربة ، لم تعد قبضتا 'برو' سجينتين ، وكان في مقدورها الهرب إذا أرادت ، ولكنها لم تحاول ذلك . وإنما حولت رأسها بعد فترة بدت لها كالدهر ، وراحت تصرخ :
 - كلا ... اخرج ... اخرج بحق السماء .
 اطلقها 'جوش' على الفور . وقبل ان يتمكن من النطق بكلمة كانت قد هربت إلى غرفتها ، وبعد ان أغلقت الباب وراعها بالمفتاح ، استلقت فوق الفراش وهي لا تزال ترتجف ، محاولة ان تنظم افكارها . أي شيطان استولى عليها . إنها تحب 'دافيد' منذ سنوات طويلة ، ولم تشك لحظة واحدة منذ ان التقيها في حبها له . وكانت تنتظر الزواج بصبر نافذ ، فكيف أمكنها ان تترك 'جوش' يدير رأسها هكذا ؟
 لمعت تحت جفניה المطبقين دموع صامتة . لن تستطيع بعد ذلك ان تشعر بالمرح او بالتهاون . واستعانت في مخيلتها صورة 'دافيد' في إحباط وإرهاق . لم تعرف أي شاب قبله . وبقيت مخلصه له دائما ... حتى اليوم .
 ماذا سيعتقد إذا عرف ذلك ؟ احست 'برو' إزاء هذه الفكرة بالذات ان موجة من الندم تجتاحها . سوف يتالم طبعاً . كيف يمكنها تبرير مثل هذا العمل الذي لا يغتفر ؟
 يمكنها ان تتعلل بظروف مخففة ، فقد كانت وحدها ، وارتبكت بلقائها بابيها بعد كل هذه السنوات . ولكن كل ذلك لا يبرر ما حدث . لقد تصرفت كما لو كانت مراهة على استعداد لأن تترمي بين نراعي اول من تلتقي به ، رغم نفورها منه .

تنهدت في ارتياح وهي تسمع سيارة 'جوش' تنطلق . واقتربت من
النافذة ، وهي لا تزال تنتفض ، ورات العربة خلف البوابة .
انصرف أخيرا . واستطاعت الآن أن تتنفس في هدوء . لم يعد
امامها إلا أن تظهر بمظهر لائق أن يعود أبوها . ولهذا أسرع وأخذت
حماما يكاد يكون باردا ، وراحت تدلك كل شبر من جسدها بقوة ، من
راسها حتى قدميها ، ثم جففت نفسها بالمنشفة كما لو كانت تريد أن
تنتزع جلدتها . ولكن الندم لا يمحوه للأسف الماء ولا الصابون .
ارتدت ثيابا نظيفة ، قميصا أبيض نقياً ، و سترة من الصوف
الأسود ، ناعمة الملمس وينظون 'جينز' ، ولفت وسطها بحزام ، هذا
هذا الزي العملي شعورها ، وبعد أن جففت شعرها جمعت ثيابها
القذرة ووضعتها في الغسالة . وكانت تتصرف بسرعة فائقة ، كدمية
اليرة فما دامت تجهد نفسها هكذا يظل ذهنها في مأمن من هجمات
الندم والإحساس بالذنب . وبعد أن أدارت الغسالة مضت إلى المطبخ
لكي تغسل البراد والفنجانين والملعقتين ، صفوة القول ، كل مالمسه
'جوش كيلين' .

وأعدت لنفسها فنجانا من القهوة ، ثم جلست ، لا تسمع شيئا غير
الصمت ، وثقلت عليها الوحدة ، وانتظرت عودة أبيها بفارغ الصبر .
أخطأ 'جوش' حين قال إنها لا تشعر نحو أبيها إلا بعدم الاكثرات ،
فلم يكن ذلك صحيحا .
ولكن ما كان باستطاعته أن يفهم . وكيف تشرح تشوش مشاعرها .
يخيل إليها أنها إذا أظهرت الود لأبيها فإنها تخون أمها .
إنها قامت بهذه الرحلة بغرض إجلاء موقف محزن . ولكن ماذا
فعلت منذ أن أقبلت فيما عدا أنها أفسدت الأمور . لعله كان من الخير
لها ألا تضع قدميها أبدا في ذلك الوادي .

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي ، اصطحب 'جيم' ابنته إلى المستشفى .
واطمأنت 'برو' وهي ترى 'دافيد' في أيد أمينة . وعندما تمتمت
ببعض الاعتذارات بسبب مشادة الأمس أوقفها بحركة من يده وقال :
- ليس لك أن تعتذري ، فالغلطة غلطتك بقدر ما هي غلطتي ، وأظن
أن السبب في ذلك هو تلك الحبوب التي يجبروننا على تعاطيها . يجب
أن تربها . إنها كبيرة الحجم ، كما لو كانت اقراصا للخيل ، وأنت
تعرفين مدى كراهيتي للعقاقير . والواقع أنني لا أطيق فكرة أنني
مريض ، فإنني أشعر بإنني غيبي ، لا فائدة مني وأنا محصور في هذا
الفراش ، في حين أنه كان يجب أن نكتشف مناظر رائعة معا .
ضحكت 'برو' ضحكة صغيرة وقالت في رفق :
- أي حبيبي المسكين .

الحمد لله . لقد وجدت 'دافيد' الذي تعرفه . وغمرتها موجة من
الحنان استسلمت لها . كان إحساسا جميلا ودافعا للهدوء والاطمئنان ،
لأنه له بالحدة المخيفة التي أحست بها بالأمس بين ذراعي 'جوش'

كيلين لن تستطيع أبدا احتمال الحياة مع شخص يثير فيها مثل تلك الانفعالات القوية . اما مع 'دافيد' فقد كانت ، على العكس ، واثقة من انها ستكون سعيدة دائما .

- والواقع انك كنت على صواب بخصوص ابوي . على انني احدثت لهذا السبب ، ولم تقولى لي إلا ماكنت افكر فيه انا بالذات . ولكنني لم ااحتمل فكرة أن اراها يهبطان من الطائرة هنا .

احست 'برو' بالارتياح وقالت :

- إذا كان الامر كذلك فسانصل بهما على الفور .

- لا داعي لذلك ، فقد اتصلت بهما منذ ساعة . تكلمت مع امي لأن ابي لم يكن موجودا .

- وماذا قالت ؟

احست 'برو' ، من جديد بإحساس بالذنب يجتاحها . كان يجب أن تتصل هي نفسها بال 'هينلي' ، فقد كان من واجبها . سوف يلومانها حتما لأنها لم تتكلم .

وشملها 'دافيد' بابتسامة عريضة خبيثة وقال :

- إنني هدأت الموقف شيئا ما .

- وكيف هذا ؟

- أوه ، قلت إنني أصبت ببعض الجروح ... ضلعان مكسوران وورم في الراس ، ولكنني لم أنكر شيئا عن العملية ولا عن الرثة التي اخترقتها عظمة ضلع .

اصفر وجه 'برو' وقالت :

- الر... كيف ذلك ؟

وبدا الذهول على الفتاة ، كما لو كانت مطرقة أصابتها على راسها . - لم أعلم بان عمليتك كانت بهذه الأهمية . لم يخبروني بشيء عن هذه القصة .

- حقا ؟ .. ألم يخبروك ؟

لم تبد الدهشة على 'دافيد' اتراه قد أصبر امره إلى الطبيب بان يحتفظ بالامر سرا ؟ ولكنه كشف لها الحقيقة سريعا بأنه قال :

- ولا أنا ... لم يخبروني بشيء قبل صباح اليوم .

نظرت 'برو' إليه في قلق . رثة مثقوبة ! ... كان الامر خطيرا ، ومع ذلك فقد بدا أن 'دافيد' يتنفس طبيعيا . بل إنه استرد حيويته .

سوف تسال الجراح الذي اجري العملية في اول فرصة . لماذا لم يخطرورها بالامر ؟

والحق انها ، من ناحيتها ؛ لم تلق اسئلة كثيرة . كانت شديدة الاضطراب في ذلك الوقت .

- ولكن كيف حدث هذا ؟

- طبقا لاقوال الأطباء هي حالة مالوفة جدا في حوادث السيارات ، فقد اصطدمت بشدة في عجلة القيادة .

كان يبدو على 'دافيد' انه يجد الامر مرحا ، ولكن 'برو' لم تستطع أن تكبت تكشيرة هلوعا :

- اسكت .

ولكن 'دافيد' لم يذعن ، وقال وهو في سورة هينة :

- الواقع انني كنت محفوظا لأن الصدمة لم تكن عنيفة جدا ، فقد كان يمكن للقفص الصدري أن يتحطم ، وقد خرجت من الحادثة بلا شيء تقريبا .

لم تصدق 'برو' انبيها . ومع ذلك فما اغرب 'دافيد' هذا ! لاشيء خطيرا بالنسبة له أبدا ، ولا حتى رثة مثقوبة . وابتسمت ، ولكن سرعان ما اكفهر وجهها وقالت :

- وماذا قالت امك ؟ هل سالتك لماذا لم اتصل بهما ؟

- سالتني إذا كنت قد أصبت إصابة خطيرة ، وإذا كنت أنت أيضا في المستشفى . أنت تعرفينها ، وقد قلت لها إنك ستتصلين بها بعد قليل ، ولكنني فضلت أن اتكلم أنا قبل ذلك .

ابتسمت 'برو' وقد اطمانت وقالت :

- مرحى للباقتك .

وبذلك لن تغضب مدام 'هينلي' من زوجة ابنها المقبلة لأنها لم تحدثها قبله .

وغمز 'دافيد' بعينيه لخطيبته في خبث وقال :

- إنني اعرف ... اعرف ... أنا رجل غريب الأطوار . تصوري أن امي

كانت على استعداد لكي تستقل اول طائرة لكي تاتي ، ولكنني صرفتها
 عن ذلك زاعما بانني اوشك ان اغادر المستشفى ، واننا سنعود قريبا .
 - وهل رضخت ؟
 - بكل تأكيد . ولكنني قلت لها إنه لا داعي للقيام بدور الام الملهوفة ،
 وإنني في صحة جيدة ، وعندما تكلمينها فلا تقولي لها العكس .
 - اتفقنا .
 رات 'برو' ان ترضى بهذا الاتفاق ، فمهما يكن فإن صحة 'دافيد' قد
 تحسنت كثيرا منذ الامس ، ثم إنها لم تشأ إغضابه من جديد . وفجأة
 ابصرت على المنضدة الصغيرة ، بجوار الفراش ، باقة من الورد
 فقالت:
 - الا ينقصك شيء ايها الحبيب .
 لم تهتم 'لينسي كيلين' بالنقود . فقد كانت الباقية من ازهار القرنفل
 الغالية ، وكانت نادرة في مثل هذا الوقت من السنة . ولا ريب انها
 كلفتها الكثير .
 واذ لحظ 'دافيد' نظرتها ابتسم وقال : ما رايك ؟ إن التي جاعتني
 بهذه الازهار فتاة فاتنة ، وقالت إنها تعرفك ، إن اباك احد جيرانها او
 شيء من هذا القبيل ، فهل هذا صحيح ؟
 - أجل . إنها 'لينسي كيلين' .
 - هو ذلك .
 - إن مزرعة ابي ملك لاسرتها .
 - أه ، حقا ؟ ولكنني كنت اعتقد ..
 - كلا . إن ابي ليس المالك . إن آل 'كيلين' يملكون مزارع كثيرة ،
 ويديرون اكبرها بانفسهم .
 اما المزارع الأخرى فيستأجرها مستأجرون ، واسرتي تستأجر
 المزرعة منذ عدة اجيال .
 - إذن فابوك لا يمكنه ان يورثها لك .
 - كلا . ستعود إلى آل 'كيلين' بعد موته . لو انني كنت شابا فربما
 كانوا لا يعترضون على ان اتولى إدارتها بعد موته . ولكن الأمر غير
 ذلك .

- نوع من الإقطاع كما يبدو .
 اومات براسها وقالت :
 - ما كنت لاستطيع ان احسن القول مثلك ... إقطاع ! ... هي الكلمة
 المناسبة حقا .
 إقطاع ! نعم . والكلمة لا تنطبق على الموقف فحسب ، وإنما تنطبق
 على 'جوش كيلين' كذلك ، فمنذ ان التقيا احست 'برو' مهاجمته لها
 باساليبه الوقحة :
 سيد حقيقي من اثرياء العصور الوسطى .
 - لا ريب ان ذلك يثير اساك .
 - ماذا تعني ؟
 - اعني معرفتك بانك لن تستطيعي ان ترثي مزرعة ابيك .
 - اوه ، انت تعلم ... ماكنت لأريدها على كل حال ، فإن اعمال
 الحقول والزراعة لا تستهويني ، ورغم كل شيء فإنني افكر مثلك .
 فليس ذلك من الوفاء أبدا نحو ابي بعد كل السنوات التي قضاها في
 هذه الأرض .
 والواقع ان 'برو' كانت تشعر بالحرج لتمرداها على هذا الجود ، فإن
 مسألة الميراث الذي قد يتركه لها ابوها لم تخطر ببالها قط .
 قال 'دافيد' فجأة :
 - ولكن خطر لي كثيرا أنني قد احب ممارسة الزراعة .
 أنهلت هذه العبارة - التي أطلقها كما لو كان يتكلم على خشبة
 المسرح - 'برو' ، وقالت :
 - ولكنك لم تحدثني عن ذلك أبدا .
 - حقا .
 وغمز لها بعيني غمزة لها معناها وقال :
 - لنقل إنها إحدى طموحاتي العديدة بالذات .
 واود لو اكون رائد فضاء . هل تظنين ان الوقت قد فات لبدء
 التمرينات ؟
 - أجل .
 لم يسع 'برو' إلا ان تضحك وهي تراه يمزح هكذا . لا يمكن اخذ

دافيد ماخذ الجد ابدا مادام هو لا ياخذ نفسه مأخذ الجد فلم تسمعه
برو ابدا يتحدث عن طموحاته، احب دائما ان يغتم الحياة باذلا اقل
جهد .

وسالها :

- قولي لي ، هل ال لينسي هؤلاء كثيرون ؟

هزت برو راسها وقالت :

- لينسي لها اخ ، وهو الذي كان يقود السيارة التي اوشكنا ان
نحطمها .

- هذا ما ذكرته لي اخته . ولكنني لا اذكره ابدا . إن الحادثة احدثت
ثقبا اسود في ذاكرتي .

هل يحقد علي كثيرا ؟

- لنقل إنه يكون احيانا ... لا ذعا بعض الشيء .

تملكت دافيد الحيرة إزاء لهجة خطيبته الجافة وقال :

- يبدو لي انك لا تحبينه .

هزت كتفيها متحاشية بكل عناية نظرة خطيبها ، في حين استطرده
هو يقول :

- اي نوع من الرجال هو ؟

- اوه .. إن له شخصية فظة ... ولا عجب في هذا ، فإن جميع ال
كيلين شديدا اللثة بانفسهم .

- يخيل إلي انكما كنتما متعارفين جيدا عندما كنت تقيمين هنا .

- لم احتفظ باية ذكرى عنه . كنت صغيرة جدا لكي اختلط بال
كيلين في ذلك الوقت ، وأشعر ان له حق الرقابة على كل ما يدور في

الوادي ، حتى في المستشفى يعاملونه كأنه السيد المطاع .

قهقهة دافيد . وفجأة تغيرت سحنته بتكثيرة ، كما لو ان الضحك
المه . ونظرت برو إليه في قلق . كم يمكن ان تكون الساعة الآن ؟ القت

نظرة إلى ساعة الحائط ولم تصدق عينيها ، فقد مر الوقت سريعا جدا .

- يخامرني إحساس بانه تلاعب باعصابك .. هل حاول عقد صداقة
معك .

وإذا كان دافيد قد حمل هذه القصة محمل المزاج ، فإن برو ، على

العكس ، كانت تفضل ان تتكلم في موضوع اخر . وقالت وهي تجز
على اسنانها :

- نعم إنه حاول ذلك .

كيف تفسر لـ دافيد بما تشعر نحو جوش ؟ إن ذلك مستحيل .
لأول مرة في حياتها تخفي شيئا عن خطيبها . وقد كرهت نفسها لهذه
الكذبة . ولكنها لم تستطع ان تجر نفسها إلى الحديث عن جوش
إشفاقا من رد فعل دافيد . او ربما خوفا من ان تفضح ما بها . ولم
تدر ماذا تقول .

- أرجو ان يكون قد فشل في محاولته .

اضاعت وجه دافيد ابتسامة ماكرة خبيثة . لم تتغير برو ، فما إن
بهاجمها احد حتى تسرع ببرد الهجوم ، وهو على عكس ما يفعله هو
بالذات لانه يواجه الحياة بهدوء ولا يحفل بأي شيء .

وهزت كتفيها وقالت :

- لنقل إنني لا اشعر بميل كبير إليه .

وما إن نطقت بهذه العبارة حتى ارتفع صوت الجرس معلنا انتهاء
وقت الزيارة وباركت برو هذه المقاطعة التي جاءت في وقتها وأنقذتها
من الحرج .

- إلى الغد إذن . كنت اود ان اعود بعد ظهر اليوم ، ولكن قلبي لا
يطاوعني على ان اطلب من ابي ان يصطحبني مرتين ، ثم إن السيارة
ليست في حالة جيدة دائما .

كشر دافيد وقال :

- بهذه المناسبة ... الواقع .. إنني نسيت تماما فاتورة الجراج .
قولي لي كم تكلف الإصلاح .

- لا تشغل نفسك بذلك . لقد تم تسديد الحساب . إن شركة التامين
تكلفت بكل شيء . وهذا موضوع اخر لم تشا برو مناقشته مع دافيد ،
فإن جوش هو الذي قام بتسديد كل نفقات الإصلاح اثناء وجودها
في المستشفى . أكد لها ان وثيقة التامين تغطي كل النفقات الناتجة عن
الحادثة ، ولزيادة الاطمئنان ستتصل بشركة التامين تليفونيا . اما في
الوقت الحاضر فلم يكن هناك جدوى من إزعاج دافيد بذلك . يمكن ان

تتملكه الدهشة لان جوش قد تكلل بكل شيء . وهكذا يتدخل جوش كيللين في شؤونهما مرة اخرى .

سالته وهي تشعر بالخجل لانها تفكر في جوش من جديد :

- ا انت واثق انك لست بحاجة إلى شيء آخر ؟

- اريد بعض المجلات الرياضية او مجلات سهلة القراءة ... دائرة معارف مثلا ... ولكن كفى فاكهة رحمة بي .

وكانت برو قد اتته بكمية وافرة من الفاكهة و الشيكولاتة ، بل ومن البيض الطازج من إنتاج المزرعة - لن أستطيع ان ازرد ابدا كل هذا وراح يتامل في طرب - منضته الصغيرة بجوار الفراش وقد تحولت إلى خزانة اطعمة .

- حسنا يا حبيبي . ساترك الآن .

وبعد قبلة سريعة على وجنته ابتعدت . وجدت اباهما ينتظرهما بالسيارة في الموقف . واستفسر ، وهو ينطلق : عن صحة دافيد :

- كيف حاله ؟ هل أستطيع ان اتعرف عليه ؟

- إنه احسن بكثير . لماذا لا تزوره غدا ؟ إنني واثقة انك ستحبه .

وعادا معا في اليوم التالي . وكما توقعت برو ، تفاهم ابوها و دافيد منذ اول لحظة .

وسر كل منهما وهما يريان ان التيار يمر بينهما بكل سهولة .

- ما إن تغادر المستشفى حتى تاتي وتسترد قواك في البيت . سابدل كل ما في وسعي لكي اجعل إقامتك مريحة ، فإنني اعلم ان مزرعة بها خراف ليست بالتأكيد المكان الذي كنت تحلم به ، ولكن ...

- إنني واثق انها ستروق لي ، وبني لهفة للمضي إليها .

تبادلت برو ودافيد نظرة متواطئة واقترب جيم اللارديس وراح يروي له ، في ادق النقاط مباهج الحياة في الريف ومتاعبها .

مرت عدة ايام لم تلتق فيها برو جوش . واحست بالارتياح وتمنت الا تراه قبل رحيلها من نيوركشاير مع خطيبها . ولكن ، ذات صباح :

صباح : اخبر جيم اللارديس ابنته بانها ينتظر زيارة جوش قريبا لكي يتنافس معه في كيفية القضاء على الارانب وصاحت برو في براءة :

برو في براءة :

- مسكينة هذه الحيوانات الصغيرة .

اندفع والدها في مرافعة حارة ضد التلغيات التي تسببها تلك الحيوانات الصغيرة ، ولكن برو تمسكت بموقفها وقالت :

- ولكنها ظريفة جدا .

- بل قولي بالأحرى إنها مصيبة حقيقية .

أضحكتها سحنة ابيها الغاضبة ، ونظرت إليه في شيء من التحدي وقالت :

- حسنا ، أرجو الا تصيب منها ارنبا واحدا .

راق برو ان تصحو كل يوم مبكرة جدا ، فبمجرد بزوغ الفجر تعتمد على نافذتها وتتامل الحقول والمراعي المترامية على مدى البصر ، وفي تلك الساعة المبكرة من اليوم كان من الممكن رؤية الارانب البرية وهي تسرع بين العشب وتثير فيه التلف والفساد ، ولكن عند اقل حركة تصل إلى اذنها : كانت تسرع بالهرب في لمح البصر .

كانت فكرة القضاء على تلك الحيوانات المسكينة فكرة جوش كيللين بالتأكيد .

أقبل جوش إلى المزرعة بعد يومين . وكان جيم غير موجود ، فقد مضى ببعض خرافه إلى الطبيب البيطري ، وكانت برو في المطبخ تعد طعام العشاء :

يخني بالخضر واللحم الضان ويدخل جوش كالإعصار ، وحتى من غير أن يدق الجرس ودعرت برو واستدارت ، واطلقت صيحة دهشة :

- اوه ... اهذا انت ؟

نظر إلى الفتاة بضع لحظات . كان شعرها مشوشا ووجهها لا تملوه اية اصباغ وحول خصرها مريلة معقودة ، ولم يكن مظهرها لائقا على الإطلاق . والعين الفاحصة التي راحت تدقق النظر إليها جمدها . وضغطت بيدها ، من غير ان تدري : على السكين التي تقطع بها الخضر ولم تغب هذه الحركة عن جوش فقطب جبينه وقال :

- هل في نيتك ان تستخدمي هذه السكين ضدي ؟

كان يمزح ، ولكن برو لم تكن رائقة المزاج فقالت :

- كنت اقطع البقدونس . مضى ابي إلى الطبيب لفحص بعض

الخطيب الغامر

الخراف ، ولا اري متى يعود .
واولته ظهرها عقب ذلك واستأنفت عملها ، ولكن لم يكن هذا كافيا
لحمل 'جوش' على الانصراف ، فقد راح ينزع ارض المطبخ جيئة
ونهبها في هدوء تام . ولم يكن مظهره باكثر اناقة من مظهر 'برو' ،
ورغم بذلته كانت تبدو مستهلكة فقد كانت لا تزال تبدو مهيبه الشكل .
وكان ظاهرا انها خرجت من بين يدي ترزي ما هر وانها من اجود
الخامات .

- كيف صحة خطيبك ؟
ضاعف عدم اكثرات 'جوش' من عصبية 'برو' ، فراحت تقطع
البقدونس بحماس زائد .
فيم تهمة صحة خطيبها . ولماذا يتكلم دائما بهذه السخرية .
- إنه احسن كثيرا . شكرا لك .
- يحدثني إصبعي الصغير بأنه ربما يستطع مغادرة المستشفى قبل
الوقت المتوقع . فقد تحسنت حالته كثيرا .
- هذا احسن .

كان هناك الآن كومة صغير من البقدونس المفروم فوق المائدة ، اكثر
مما تحتاج إليه لأجل اليخني عشر مرات . ولكنها استمرت مع ذلك في
عملها اليا . كيف حصل 'جوش' علي اخبار 'دافيد' ؟ هل اتصل
بالمستشفى ؟ ... أم هل سال 'جيم' ؟

- عندما يغادر خطيبك المستشفى ، هل ترحلان على الفور أم تبقيان
بعض الوقت والقت 'برو' السكين من يدها وتاملت لمره عملها
واحست امامه كومة من البقدونس بانها سخيصة بعض الشيء ،
وقالت متبرمة :

- لا نعرف ذلك بعد .
- إنك لم تذهبي لزيارة امي ، وقد كلفتنني ان اقول لك إنها تامل ان
تراك قريبا .

- يؤسفني هذا ... فانا مشغولة جدا .
- كفاك نفاقا من فضلك . إنك لتؤثرين الموت على مواجهتها . ولكن
شق علي ان اقول لها هذا صراحة .

لم يكن للهجة 'جوش' الجافة إلا تأكيد وقاحة 'برو' لانها قالت :
- إن لدي اعمالا كثيرة يجب ان انجزها في الايام المقبلة . واطن انه
يجب ان تعتذر لها نيابة عني .
- لن يكون هذا .

كانت لعبارته الاخيرة وقع السبوط . وفزعت 'برو' من نظرتة
الصاعقة ، فارتدت خطوة إلى الوراء . وقال :

إذا لم تذهبي لزيارتها قبل مغادرتك للوادي فسوف تشعر بالإهانة ،
وستاتي إلى ابيك وتساله ماذا فعلت لإغضابك .
- لا رغبة لي في التحدث عن ذلك .

امتقع وجه 'برو' . حتى ذلك الوقت لم تستطع مناقشة هذا الموضوع
مع ابيها . ولم تكن تتعجل الحديث فيه .
- إنني لا احفل برغباتك .

وكان 'جوش' قد تقدم خطوة نحو 'برو' ، فتقهقرت اكثر ، وقلصت
كل عضلات جسدها .
اوه ، إنني اعلم هذا .

ولمخ في عينيها بريق تحد وقالت :

- ثم إن هذه سمة معروفة عن اسرتك على كل حال . فانتم لا تفعلون
إلا ما يحلو لكم ، وتهاجمون الجميع مطرقي الرؤوس غير مكثرين
بشعورهم . انتم ديناصورات ... هكذا انتم ... تعتبرون انفسكم
اسياد العصور الوسطى ، وتحسبون ان الدنيا كلها تحت اقدامكم .

امسكها من كتفيها وحقق في عينيها مباشرة وقال :
- ما هذا الذي تقولين ؟ اسياد العصور الوسطى ؟ ... إنك تلقين
الكلام على عواهنه وتعرفين ذلك تماما .

- امرك ان تتركني ... ايها الوحش .
حاولت التخلص من قبضة 'جوش' بكل قواها ، ولكنه شدد الضغط
عليها وراح يهزها ساخطا :

- اهبطي ... حاولي ان تفهمي مرة ... إذا كان هناك علاقة بين امي
وابيك فلماذا يعيشان مفترقين ، ولماذا يخفيان ؟ ... إن كلا منهما راشد
وكلاهما ، حر التصرف ... ولا اري ما يمنعهما من الزواج .

- لعل ابي يخاف ان تضع المزرعة منه ... فمهما يكن فانت الوارث
لاملاك كيلين ، ويكفي الاتوافق على هذا الزواج ، وان تطرده .
كتم 'جوش' ضحكة وقال :
- ما كان هذا ليخطر لي على بال .
- مجرد كلام . ولكن لعل ابي لا يريد ان يجازف .
- اسمعي . كل هذا بعيد عن الحقيقة ، وليس لديك اي دليل على ما
تقولين . إنما انت تعتمدين على هذيان امك فحسب ، ولكن صدقيني
فهي ليست شاهدة قيمة بالثقة .
احست 'برو' بالمرارة تجتاحها وقالت :
- قبل ان اتي هنا لم يكن لدي غير كلام امي في الواقع ، ولكن
الآن وقد رايت ، فإنني مقتنعة بأنها ذكرت الحقيقة .
- وماذا رايت ؟
- الحب .
انغرست اصابع 'جوش' في لحم 'برو' وقال :
- ماذا ؟
- اظن انك تعرف معنى هذه الكلمة ؟
نظر إليها 'جوش' مهددا بعينيه السوداوين كالجمرتين وقال :
- إنني اعرف معناها تماما ...
ولكنني لست واثقا من انك تعرفينه ، حتى إذا كان قد وقع حب بين
امي وابيك فما كان في استطاعتك ان تريه .
- احري بك ان تلقي هذا السؤال على امك ، فإن الامر يتعلق بها .
- حقا ؟ ... هل انت واثقة انه لا يتعلق بك أنت ؟
كان هذا اكثر مما تحتمله فصرخت :
- اخرج .
بقي 'جوش' لحظة مشلولاً ثم جذبها إليه في عنف فجأة . واطبق
فمه على فمها في قبلة محمومة . اختنقت تحت عناقه لها ، واحست
بقلبها يكاد يثب من بين ضلوعها ، وسرت رعشة في كيانها كله ،
فريسة تركيبة غريبة من الالم واللذة . وياله من إحساس لا يحتمل ...
او ه ، لشد ما تمقت هذا الرجل ... الهرب ... يجب ان تهرب حتما

قبل ان تحبس .

فشلت كل جهودها للتحرر . وفجأة ، حركة عند الباب ، و صوت :
- او هيه ... اهناك احد إنني ... او ه ...
ارتجف 'جوش' ورفع راسه . وانتهزت 'برو' هذه الحركة فتحررت ،
ثم تحولت نحو الباب ، حيث اتي الصوت .
كانت كينسي كيلين واقفة بعينيه ، مذهولة ، و في عينيها
الواسعتين كل دهشتها وازدائها .
ودت 'برو' لو ان تبتلعها الأرض .

الفصل السادس

- إني أسفة ... طرقت الباب ولم يرد احد .
رماها 'جوش' بنظرة صاعقة وقال :
- امامي بقيقة واحدة .
- هذا ما قلت لي قبل ان تدخل هنا . وقد مضت ربع ساعة وأنا
انتظرك . والجو بارد في الخارج ، وليس هناك ما افعل غير الانتظار ،
فاسرع .
- ونظرت 'لينسي' إليهما معا وفي ركن شفيتها ابتسامة صغيرة .
- لا اعرف ماذا كنما تفعلان ، ولكن ذلك يمكن ان ينتظر بالتأكيد .
احست 'برو' بالحمرة تتصاعد إلى وجنتيها ، ولكن قبل ان تتمكن
من النطق بكلمة ما ، كانت 'لينسي' قد اختفت فجأة كما دخلت .
وانصفق الباب خلف ظهرها . ووقف 'جوش' مذهولاً ، لا يستطيع ان
ينقل عينيه من المكان الذي كانت اخته تقف فيه قبل ذلك بلحظة ، ثم
نطق بسبة وتمتمت 'برو' وقد هزها الأمر :
- نظرتها ... ارايت نظرتها ؟

- لا تشغلي بالك بامر' لينسي' ، فهذا طبيعي في مثل سنها . وانا لا اعرف احدا يتصنع اكثر مما تتصنع المراهقة .
اراد صوت 'جوش' الخشن ان يبعث الاطمئنان إلى 'برو' ، ولكنها لم تستطع ان تستعيد هدوءها وهتفت :
- رياه ! ... هذا موقف فظيع .
افقت سحنتها المنهارة هدوء 'جوش' .
فقال :

- اوه ... ارجوك ، لا داعي لهذا السخط ، فإن من يسمعك يظن ان كينسي' فاجاتنا معا في الفراش .
اصطليح لونها وراحت تتلعلم :
- ولكن ... إنني ... ماذا سيدور براسها ؟ ... سوف تتصور بالتأكيد اننا ... وإذا تحدثت عن ذلك ؟ ...
- لو تنطقين بعبارات مترابطة شيئا ما فقد استطيع ان افهمك حاولت ان تجمع شتات افكارها وقالت: وإذا تحدثت كينسي' عما راته؟

- إنها لن تفعل شيئا من ذلك ، فإنني اعرفها . ومهما يكن فسوف اتبادل معها حديثا صغيرا لكي اتأكد من صحتها .
- بالتهديد على ما اعتقد ؟ ... نسيت ان هذه طريقتك المعتادة .
- ليس هذا نهجي . كفاك اعتقادا بانني رجل فظ .
- اظن انه يجب ان تنصرف . إن كينسي' تنتظرك ، ويعلم الله ماذا تتصور الآن . عندما تحدثها حاول ان تقنعها بكل دقة انه لا يوجد بيننا شيء .

لانت ملامح 'جوش' وقال :
- بعد ذلك المنظر الصغير ؟
- قل لها إنك حاولت عقد صداقة معي ، وإن ذلك لا يعني شيئا .
- اعلمي انني عندما اعقد صداقة مع امرأة ما فإن ذلك يعني شيئا دائما ، وهو انها تروق لي .
عضت 'برو' شفيتها هي تروق لـ 'جوش' كيلين' إذن .
- و كان يمكن ان تغضب منه ولكن رغم كل سخطها فلم تكن مستاءة

ابدا وإنما مغفرة ... بل ..

- ارجوك ... اقنع أختك بان تنسى ما راته .
اجاب 'جوش' في غير اكتراث :
- ربما ... وربما لا .
- اسكت ... إنك ستجعلني اجن .
وبت لو تضربه ، ولكن لا.. من الأوفق بعد الآن ان تحافظ على المسافات بينهما ...

لن تعطيه الفرصة أبدا لكي يلمسها بإصبعه .
- إذا طلبت مني هذه الخدمة فيجب ان تعديني بإسداء خدمة لي في المقابل واضاعت ابتسامة مأكرة وجه 'جوش' وهو يقول : أريد ان تعديني بان تنهبي لزيارة امي ، وان تكوني ظريفة معها .
اوه . كلا . فقد كان هذا آخر شيء تريد ان تفعله ... ولكن ، في نفس الوقت: كيف يمكنها ان تنسى ابدا الوجود الذي راته على وجه كينسي' ، والخجل الذي أحست به ؟ يجب حتما ان يتحدث 'جوش' إلى أخته ... مهما يكن الثمن .

- قل لها إنها اساعت فهم ما راته ... كنا نتشاجر ... لم تكن ...
- لم تكن ؟ ...
- لم تكن نتبادل الغزل .
نظر 'جوش' إليها وفي عينيه نظرة ساخرة ، محاولاً الاحتفاظ بوقاره وقال :

- إنني احب طريقتك في الشجار معي .
ضغطت على اسنانها لكي تغالب نفسها حتى لاترد عليه في عنف ، وبعد صمت طويل انفجر 'جوش' ضاحكا وقال :

- اتفقنا إذن ؟ ...
- اتفقنا .
ولكن ذلك التراجع بدا غير كاف لـ 'جوش' لأنه قال :
- ومتى ستاتين لزيارة امي ؟
رمته بنظرة صاعقة ... ياله من عنيد حقا ...
- لا ادري ؟ .. غدا ؟

- تعالي إنن وتناولى الشاي .

- حسن . اتفقنا . وحتى ذلك ... أريد أن اخلو بنفسى .

تقدم 'جوش' نحو الباب وهو يقول :

- اظن أنك ستعرفين الكثير من امى .

ضحكت 'برو' ضحكة صغيرة مشوية بالازدراء وقالت :

- اسمح لى بان أشك فى ذلك .

- إنها امرأة كريمة جدا ورقيقة .

وغادر الغرفة عقب هذه الكلمات ، بخطى بطيئة ، تاركا 'برو' مذهولة

وجريحة . بماذا أراد ان يوعز ؟ ... إنها ليست كريمة ولا رقيقة .

وعادت إلى عملها ، واعدت بطاطس الفرن ، وهو أحد الأطباق التي

يفضلها أبوها ، وقد تذكرت ذلك . ولكنها لم تستطع ان تبعد 'جوش'

عن نهنهما .

وبعد ان فرغت من الترتيبات الأخيرة للعشاء ، صعدت لى تعطي

لنفسها لمسة من الجمال ، وتستبدل ثيابها . واختارت زيا مناسباً .

وهي تعلم ان أباه يروق له ان تبدو جميلة له ، فهو لا يعيش فى بيت

حقيقى منذ وقت طويل ، ومن الواضح ان صحبة ابنته تمنحه سرورا

يحدث تأثيرا كبيرا فى 'برو' .

حتى الزائر العابر ما كان ليجد مشقة لى يخمن ان المزرعة يقيم بها

رجل وحيد . كانت الغرف نظيفة جدا وذلك بفضل مجهودات 'بىتي كين' .

بل إن 'جيم' بذل جهدا كبيرا لى يضيف على البيت جو الارتياح

والترحيب ، فقد ملا الغازات بالأزهار وزخرف الجدران باللوحات .

ويشعل باستمرار نارا كبيرة فى المدفأة . وقد اغتبطت 'برو' فى البداية

عندما وجدت ان البيت لم يتغير ، ولكنها إذ تنظر إليه الآن عن كثب ،

ادهشتها حالة التلف العامة ، فقد بدت كل الغرف مشبعة بجو من

الحرن وتيارات الهواء تجد مرتعا فيها . ولهذا عكفت على ان تعيد

للبيت الشبخ الحرارة التي تتمتع بها البيوت الحقيقية .

عاد 'جيمس اللاريس' متأخرا .

- اعذرني يا عزيزتي ، فقد تابعنا طريقنا أبعد من المتوقع ،

وتوقفنا عند 'شارلى روربوك' . ولم اشعر بمرور الوقت ثم اعادنا

'شارلى' فى سيارته . أرجو الا يكون طعام العشاء قد احترق تماما .

- الحق انه لم يبق غير بعض الرماد .

ثم ابتسمت له فى رفق وقالت : لا يشغلنك الأمر ... امامك ما يكفي

من الوقت لى تغسل يديك وتستريح .

وبينما كان أبوها يصعد الدرج بالجورب اربعا اربعا ، وضعت

الطبق الكبير فى منتصف المائدة . وعبق المطبخ برائحة لحم الضان

والاعشاب . واستنشق 'جيم' الهواء بلذة وهو يهبط ، وقال :

- هم ... بالرائحة الجميلة ... ما هذا ؟ ... بطاطس بالفرن ...

يالها من فكرة رائعة .

وجلس إلى المائدة ، وماذا يوجد فى هذا الطبق ؟

- كريم الثوم المعمر لأجل البطاطس .

- صحيح ؟ ثوم المعمر ، من الحديقة ؟ ... ويقدونس أيضا . هل

تتذكرين ؟ لقد زرعت امك هذه الاعشاب فى بداية زواجنا . توسلت إلى

ان اترك لها مكانا صغيرا ، بذرت فيه حبوبها ، وقد نمت تلك الحبوب

بطريقة عجيبة . وبعد ان رحلت ، استمررت اعتنى بها ، ولكننى لا

استخدمها كثيرا ، واكتفى عادة بسلطة او بلحم مشوي مع بعض

الخضر ، فانا لست معقدا فى مسألة الاكل .

- أرجو ان يعجبك هذا على كل حال .

ورفعت غطاء الطبق ، وغرقت ، وقدمت لابيها وهي تقول :

لقد جاء 'جوش' كيلين' اليوم .

- هل كان يبحث عنى . اقلت له أين يجدينى ؟

- أجل كان على عجل من أمره ، وكانت أخته معه ، وطلب منى ان

أمر بقصر 'كيلين' .

- هل تنوين الذهاب ؟

- نعم ... سامضى لتناول الشاي غدا . هل تريد ان تاتي ؟

هز 'جيم' رأسه بعد لحظة تردد وقال :

كانت 'برو' تؤثر ان يرافقها أبوها . ولكن على كل حال قد يكون ذلك

أسهل بالنسبة لها ، ولـ 'جوش' كيلين' ، إذا لم يذهب معها .

رفع 'جيم' شوكتة . وراقبته 'برو' باسمه وقال :

- هذا لذيذ . اين تعلمت الطهي هكذا ؟
 - انني عشت مدة طويلة في 'سيدني' بمفردي . وكان امامي الخيار بين ان اتعلم الطهي او الموت جوعا . وقلت لنفسى ' ما دام يجب ان اطهو فيجب ان اجيده ' .
 - انا ايضا تعلمت الطهي . ولكن اطماعي اقل من اطماعك من ناحية الإعداد ، ومن وقت لآخر اتناول العشاء في الخارج .
 هل كان يتناول العشاء مع مدام 'كيلين' ؟ وهل كان يذهب إليها كثيرا ؟ إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن لـ 'جوش' ان يزعم انه لم يلاحظ شيئا بينهما ؟
 كان من المحال ان يكون اعمى إلى هذه الدرجة . من الواضح تماما ان 'جوش كيلين' قد كذب عليها . ولكن لماذا ؟
 مضت في صباح اليوم التالي لزيارة 'دافيد' ، ووجدته جالسا فوق مقعد ، غارقا في قراءة رواية بوليسية ، وهتف :
 - هذا كتاب مدهش . إنه احسن الكتب التي اتيتني بها . نظرت إلى الكتاب وقالت :
 - ولكن ... انا لم أت به .
 تغير وجه 'دافيد' وقال في ارتباك :
 - أه ... هذا صحيح . لا ريب إذن انني استعرته من احد .
 واسرع فاطبق الكتاب ، واخفاه تحت الوسادة . لماذا هذا الارتباك المفاجئ ؟ ولماذا كل تلك الاسرار حول ذلك الكتاب ؟
 - قصي علي بعض الحكايات يا 'برو' . انني اشعر بضيق شديد هنا . ما الجديد في المزرعة ؟
 نهشت 'برو' لوجه 'دافيد' المحموم . اما زالت به حمى ؟ لم يكن في حالته الطبيعية على كل حال . وإرضاء له ، راحت تحدثه عن الحياة في المزرعة ، واخبرته انها اتصلت بوالديه فسألها على الفور ، في قلق :
 - هل حدثتيا عن رثتي ؟
 - كلا . ماذا قال الطبيب ؟
 - إنه لم ير احدا يشفى بهذه السرعة ابدا . وقلت له إن الاستراليين قوم اقوياء ، ولكن خيل إليه ان ذلك يرجع إلى عنايته بي .

- يا للمسكين ! انني ارثي له لاحتماله إياك .
 وإذا كان 'دافيد' قد استعاد ميله للمزاح فذلك إشارة طيبة . ولم تشر 'برو' طوال زيارتها له إلى دعوة آل 'كيلين' لها . والواقع انها نسيت ذلك تماما ولم تتذكره إلا بعد ان غادرته . ومهما يكن فقد كان ذلك افضل . فما كان 'دافيد' إلا ليجازف بالقاء الاسئلة عن 'جوش كيلين' . وما كان ليفهم اسباب ارتباكها . هي نفسها لم تحاول تحليل مشاعرها ببرود . كان 'جوش' يسيطر على افكارها ، ويلج عليها . ومع ذلك فما كان إلا ليوحى إليها بالكراهية ، فقد كان تصرفه فظا وخشنا ، حتى مع النساء ، فمن يظن نفسه ؟ ... وعندما كان يحاول إغراها ... يالها من وقاحة لا توصف
 ولكن لماذا يعتربها الارتباك هكذا بمجرد ان تفكر فيه ؟
 هذا سر حقيقي لم تستطع اكتشافه .
 حاولت ان تستعلم عن الحياة الخاصة لـ 'جوش' وهي تسال اباهما في تكتم شديد ، ولكنها لم تحصل على أية تفاصيل دقيقة ، وحرصت على عدم الإصرار مخافة ان يساء فهم فضولها . ومع ذلك فقد وبت ان تعرف إذا كان يتصرف هكذا مع كل امرأة يلتقي بها . لم يكن من المعقول ان تلقيه على 'جوش' بالذات . وقد أسفت لأن 'بيتي كين' لم تكن كثيرة الكلام ولم يكن هناك ريب في انها هي وحدها منجم معلومات لان آل 'كيلين' كانوا اهم اسرة في المنطقة ، ولا بد ان الكلام عنهم لا ينقطع . ولكن 'بيتي' كانت صموتا كالقبر . وقد قالت ذلك لابيهما في ذلك الصباح :
 - ارى ان 'بيتي كين' بكماء بشكل عجيب .
 لم يسع 'جيم' إلا ان يضحك ويقول :
 - ما رايك في ارتباطي الشديد بها ؟ إنها لا تبوح بشيء من اعمالى . وفوق ذلك لن يتخيل احد ان تكون علاقتنا شيئا آخر غير علاقات عملية .
 كتتمت 'برو' ضحكة صغيرة وقالت :
 - هذا صحيح . ليس هناك خطر كبير .

اصطحب "جيم" ابنته لتناول الغداء بجوار المستشفى ، في مطعم ظريف ذي مفارش بمربعات بيضاء وحمراء . وكان الطعام شهيا . وحيثما "جيم" أكثر الرواد الذين كانوا يمرون بجوارهما . وغمز بعينه وهو يقول :

- اراهنك انهم يتساعلون من اين اتيت بغفأة جميلة مثلك تكاد تبلغ نصف عمري .

بدا ذلك لـ "برو" قليل الاحتمال لأن كل اهالي الوادي لابد قد عرفوا الآن ان "جيم اللاريس" قد زارته ابنته ، فسرعان ما تنتشر الاخبار . ولا بد انهم على علم ايضا بخصوص "جيم" و "كوسي" ... فإن العكس يبدو غير معقول .

وبعد ان فرغا من طعامهما ، ترك "جيم" "برو" على بعد كيلو متر من قصر كيلين . وكانت "برو" هي التي طلبت منه ذلك لتمتع نظرها قليلا بالريف .

- ولكن السماء غير صافية يا عزيزتي .
- اوه ... ساكون قد وصلت قبل ان تمطر .

ولم يصبر "جيم" ازاء تصميم ابنته وقال :

- كما تشائين ، اتصلي بي تليفونيا لكي اتي لاصطحابك وادار محرك السيارة من جديد ، ولكنه بدا مترددا في الرحيل . وقال :

- ارجو ان تقضي اصيلا جميلا .

ادركت "برو" ان اباهما كان يعني ان يقول : ارجو ان تعرفي كيف تتصرفين مع مدام "كيلين" . وردا عليه ، ابتسمت له ونظرت إلى عربته وهي تبتعد .

لم يكن هناك ما يدعوها إلى العجلة ، فقطعت الطريق المتعرج بخطى بطيئة ، متاملة التلال السمراء الضاربة إلى اللون الأخضر . كانت حدودها تظهر بوضوح في الأفق الملبد بالغيوم ، والمنظر حولها فائقا في روعته ، والأسوار الحجرية الصغيرة في المراعي ترسم صورة هندسية ، والأشجار النادرة متجردة كالهياكل ، وكان يبدو أن أقل عاصفة ستقتلعها من الأرض .

وأشجار الزعرور ذات الأغصان الملتوية تبدو كأنها واقفة تصلي

وهي رافعة اصابعها المعقوفة نحو السماء .

توقفت "برو" لحظة لكي تراقب شاة تحاول تسلق سور . ولكن الدابة المسكينة كانت تقع عند كل محاولة وهي تطلق ثغاء مثيرا . ورات ان اباهما على حق عندما نعت الخراف بانها حيوانات عنيفة حقا .

وما إن انعطفت ورات قصر كيلين حتى نظرت إلى ساعتها . سوف تصل متأخرة ، فكيف استطاعت ان تضيع كل هذا الوقت ؟ وأسرعت الخطى ، وفجأة ظهرت امامها سيارة ما إن عرفتتها حتى احست بقلبها يكاد يقفز من مكانه . كانت ترجو ان يكون "جوش" متغيبا ولكنه كان امامها الآن جالسا امام عجلة القيادة .

اوقف السيارة في صرير شديد من عجلاتها ، وانحنى لكي يزيح الباب بجواره وقال :

- اصعدي . ولم ترق لهجته الخشنة "برو" وقالت :

- كلا . إنني افضل السير . لا اريد ان اتسبب في تاخيرك ، إذ يبدو انك على عجل من امرك .

- كنت على عجل من امري لكي اجدك ، عندما رايت انك تاخرت استولى علي القلق . وقد قال لي ابوك إنه تركك في مفترق الطرق . وإنه كان يجب ان تصلي منذ وقت طويل ، فماذا كنت تفعلين ؟

- كنت اتمشى متاملة المناظر .
- دون ان تحفلي بموعده ؟
- كانت رنة صوت "جوش" مليئة بالعتاب .
- لم اشعر بمرور الوقت .
- اهكذا تفين بوعودك ؟

لم يرق لـ "برو" تلك اللهجة الجارحة فقالت :

- وانت ؟ ... هل وفيت بوعودك لي ؟ هل كلمت اختك ؟
- نعم .

نظر "جوش" إلى "برو" في جدية جعلتها ترتجف .
- وهل اقنعتها ؟
اتى بحركة تدل على نفاذ الصبر وقال :

- اسمعي : اصعدي إلى العربة . إن المحرك يدور بلا فائدة .

سنتكلم في الطريق .
اطاعته " برو " على مضض . ودار " جوش " نصف دورة ، وانطلق
مسرعا نحو البيت .
- كانت " لينسي " كريمة المزاج عندما تحدثت إليها .
- لا بد هسني هذا . لدي إحساس بان هذا هو طبعها العادي . ولكن
هل تعتقد انك اقنعتها ؟
اجاب " جوش " دون لف او دوران :
- إذا اردت الصراحة فلا .
- ماذا قلت لها ؟
- ما اردت أنت ان اقول لها بالذات ، اعني سلسلة من الاكاذيب .
رمته " برو " بنظرة احتقار وقالت :
- من المؤكد انك لم تحاول ان تكون مقنعا .
اوقف السيارة فجأة ، وحسبت " برو " انها ستندفع من خلال
الزجاج الامامي للعربة . وعندما استربت انفاسها تحولت إليه
وعيناها تقدحان شررا وقالت :
- ايها المجنون ! إنك تسببت لي في اكبر خوف في حياتي . الا ترى
ان حادثة واحدة تكفي ؟
ارتسمت على شفتي " جوش " ابتسامة ساخرة وقال :
- اسمعي ... إنني وفيت بوعدتي وتحدثت مع اختي . . . اهي غلطتي
إذا لم تشا ان تستمع إلي ؟
- كانت " برو " مقتنعة تماما انه لم يستخدم الكلمات التي كان
يجب ان يستخدمها . ولكن لم يكن لديها أي دليل على ذلك .
- ماذا قالت بعد ان اصغت إليك .
ارتسم في عيني " جوش " ظل من السخرية وقال :
- انفجرت ضاحكة .
بقيت منهارة . إذا كانت " لينسي " قد سخرت من أخيها ، فذلك لأنها
لم تصدق أبدا ما قاله لها .
- اواه ... يا إلهي !
- الامر اهون مما تظنين وراح " جوش " يضحك عاليا ، ثم ادار

المحرك ، في حين كانت " برو " تغلي وعندما هبطت من السيارة ، رات
مدام " كيلين " تنتظرها في الشرفة ، والقلق بار عليها .
- اشعر بارتياح كبير الآن وقد وجدك " جوش " . هل ضللت الطريق ؟
اجابت الفتاة في شيء من الحدة :
- أرجو المعذرة . استغرقتني الاحلام وانا سائرة ، ولم افطن إلى
مرور الوقت . إن لديكم هنا مناظر جميلة جدا .
اضاعت وجه " لوسي كيلين " ابتسامة مشرقة وقالت :
- هذا صحيح . يحدث لي انا ايضا ان اترك العنان لاحلامي احيانا
وسط هذه التلال .
دعتها إلى دخول البيت وهي تصف لها " بانوراماتها " المحببة إلى
نفسها .
- إن زيارتك تسرني جدا في الواقع . لقد خرجت " لينسي " و" جوش " .
لديه عمل في الخارج ، وسنكون وحدنا ، وأرجو الا يضايك ذلك .
وإذ ابتهجت " برو " لأن " جوش " لن يبقى يمكث كثيرا ، اسرعت
تطمئننا قائلة - أبدا ، على العكس .
ومضت المرأتان وجلستا في غرفة فسيحة تسطع بالنور .
- كيف حال خطيبك ؟
- إنه أحسن كثيرا . شكرا . يجب ان يغادر المستشفى بعد اسبوع .
كانت " برو " قد تخرجت كثيرا من مقابلتها " لوسي كيلين " . ولكنها
دهشت وهي تجد نفسها علي اتم راحتها . والواقع ان وجودهما
وحدهما كان له اكبر الأثر .
- حسنا . إنه لأمر فظيع ان يقطع كل هذه الكيلومترات لكي يزور
بلدا ويجد نفسه في المستشفى .
مضت " لوسي " لكي تعد الشاي . وإذ بقيت " برو " بمفردها انتهزت
الفرصة لكي ترضي فضولها فسارت حتى النافذة لكي تتامل احواض
الازهار التي تهتز مع الهواء ثم لفتت الرؤوف المصفوفة بالكتب نظرها
وفكرت : " قل لي ماذا تقرا اقل لك من أنت " . وإذ اقلت إليها نظرة عن
كتب ، ابركت انها ليست لـ " جوش " بالتأكيد . فقد كانت هناك كتب في
الطهي ، وفي الفلاحة وروايات على الخصوص ، عرفت " برو " من

بينها بعض كتابها المفضلين : "جين أوستن" ، والأخوات برونتي ...
ظهرت مدام كيللين في هذه اللحظة وفي يدها صينية عليها طقم
شاي من "البورسلين" ، وأحست "برو" بالخجل وهي تضبط بهذه
الصورة ، واستدارت وفي يدها كتاب :

- معذرة ... لم أستطع المقاومة .
- هذا امر طبيعي ، وأنا مثلك ، كانت تجذبني الكتب دائما .
واختيارها يكشف تماما عن شخصية الناس ...

عادت "برو" وجلست . وقبلت فنجانا من الشاي ، وكذلك بعض
البسكويت اللذيذ من صنع البيت .
- هذا الكعك مصنوع من فراولة الحديقة . إنني شديدة الوله
بالطهي .

- رأيت كتبا كثيرة في الطهي في مكتبك . والظاهر انك تحبين الالاب
الرومانسي .
- وانت ؟

- إنها هوايتي . هل تفضلين "جين إير" ام "مرتفعات ويزرنج" .
- اما هذه فهي مسألة ...
انطلقنا في حديث غير مترابط .

وبعد ساعة تقريبا . دخل "جوش" الصالون ليجدهما جالستين
تضحكان ملاء شديقيهما وما إن راته "برو" حتى اکتابت ، ولكن "كوسي"
استقبلت ابنتها بابتسامة عريضة .

- أه ، هل عدت ؟ ... هل وجدت الادوات التي كنت تبحث عنها ؟
- لم أجدها كلها .

لم يغب التغيير الذي طرا على "برو" عن "جوش" . كان مجرد وجوده ،
وحتى رنة صوته ؛ يسببان لها الاضطراب . ونظرت إلى ساعتها ثم
رفعت رأسها وقالت :

- يجب أن أنصرف ... وأشكرك من أجل الشاي ا سيدتي .
- يمكنك أن تدعيني "كوسي" ، وأشكرك إذ أبهجت يومي يا "برو" .
عودي عندما تشائين . سوف نستأنف هذا الحديث الممتع .
رافق "جوش" "برو" حتى البهو وقال :

- سارافكك حتى البيت .

- لا داعي لذلك . إنني أفضل السير ، فإنه تمرين قليل لي .

ولكن مدام "كيللين" رفعت عينيها نحو السماء في قلق ، وقالت :

- إن الوقت ليل تقريبا ، وسوف يهطل المطر .

طمأنها "جوش" قائلا :
- ساوصلها .

بدأت "برو" تهبط درجات الطريقة دون أن تنتظر أن يتبعها . من
يظنها وبأي حق يسمح لنفسه أن يدير حياتها بدلا عنها ؟
وبينما كانت تسير بخطوات واسعة وهي تجتر غضبها ، هدر
محرك بجوارها جعلها تجفل . كان "جوش" قد تجاوزها . بسيارته ،
وقال وهو يتابع طريقه :

- أوه ... تدبري امرك على كل حال .

وأسرع فجأة متسببا في تطاير الحصى . وإذ رأت "برو" مصباحيه
الخلفيين يبتعدان في الظلام أحست فجأة بانها حمقاء ، فلم تكن
المزرعة قريبة جدا ، وكان من المعقول أن تقبل اقتراح "جوش" . ولكن
مجرد فكرة تواجدها معه وحدها كان يجعلها ترتجف ، ثم إنها في
حضوره لم تكن تملك نفسها .

ولكن حمداً لله ! يمكنها أن تستأنف حياتها مع "دافيد" . سوف
تفتقد اباهما والمزرعة . والوادي ، غير أن اهم شيء الآن هو أن تهرب
بعيدا عن "جوش كيللين" .

ولكن لم تمر عشر دقائق وهي تسير حتى بدأ المطر يهطل . كان رزاذا
رفيعا في البداية ، بيد انه لم يلبث أن تحول إلى سيل جارف . وابتلت
ثيابها ، والتصق شعرها الاسود بطول وجهها . وفي كل خطوة كان
حذاؤها يمتلئ بالماء الموحل .

لم تر حولها أي بيت يمكنها أن تلجا إليه . و كان لابد لها أن
تواصل السير . لو أن "جوش" يخطر له الآن أن يستدير لكي يعود
ويبحث عنها . لاريب أنه موقن بانها تتعرض للمطر والرياح ، وهي ،
كما تعرفه ؛ لن يتركها هكذا .

ثم رفعت رأسها . وقطبت وجهها . لماذا يأتي لنجبتها ؟ ألم تطرده

وانطلقت السيارة الأخرى ، ولكن جوش لم يتحرك ، وتحول نحو
'برو' وقد قست قسما وجهه من فرط الغضب وصاح :

- هل تعرفينه ؟

- كلا . هل يمكنك ان تنطلق إذا سمحت ؟ ... إنني اتعجل العودة .

ولكنه استطرد يقول في إصرار :

- ركبت سيارة رجل لم تريه قبل ذلك أبدا .

- اسمع . إنني مبتلة حتى العظام ، ولا أحلم إلا بشيء واحد ، هو

حمام ساخن وثياب جافة ، فاعدني أرجوك .

نظر 'جوش' إليها في إصرار عجيب تسبب في اضطرابها من

جديد . ولكي ترضيه ، حاولت ان تحتفظ بهدونها ، وان تبقى مهذبة .

- إنك رفضت ان تركبي عربتي ، ولكنك ركبت عربة رجل غريب .

ما أغرب هذا ... إنه شديد الإصرار . مادامت الكياسة لم تجد معه

فقد عانت العدوانية :

- هذه ثالث مرة تلقي علي هذا السؤال ، فكيف يجب ان أقول لك ...

- إنك أكثر النساء اللاتي عرفتهن غموضا وإثارة للغضب .

أجابته في نفس اللهجة .

غاضبة وجريحة :

- هذا يكفي ... كفاني ما لقيت من انتقاداتك وإهاناتك . عد بي

فورا وإلا خرجت . إنني أفضل العودة سباحة عن ان أخضع لملاحظاتك

ثانية .

- لا تغويني ، وإلا اتركك تتدبرين امرك وحدك .

وعلى هذا انطلق كالإعصار ، بحيث إنها تارحجت جانبا وارتمت

بكتفه .

فجأة ، تحول إليها . وتملكها الهلع من الومضات التي تنبعث من

عينيه وتوقف وهبطت من العربة مسرعة وهربت نحو البيت بكل ما

أوتيت من قوة .

بكل بساطة . لا يمكن إلا ان تلوم نفسها

وفجأة ، اخترقت مصابيح سيارة الظلام . واحست بالارتياح ،

وأبطت في سيرها محاولة ان تتبين وجه السائق .

لم يكن 'جوش' ، وإنما رجل بدين بعض الشيء . وأصلع تقريبا .

- ويعد ؟ ... ليس الوقت مناسباً لنزهة ليلية . هل يمكن ان أوصلك

إلى مكان ما ؟

ترددت 'برو' . ثم استقرت نيتها على الصعود إلى السيارة ، فلم تكن

اللحظة مناسبة لكي تتشدد .

- أين تذهبين ؟

وبينما كانت تشرح له ، القى إليها نظرة سريعة ثم قال :

- أنت ابنة 'جيم' اللاريس ' بدون ريب سمعت أنك عدت . أراهن أنك

لم ترى هذه العواصف في 'استراليا' .

راحت 'برو' تضحك . فإن العوامل الجوية في 'استراليا' يمكن ان

تكون أسوأ من ذلك تماما . وإذ اطمأنت إلى انه يعرف أباهما ، راحت

تتحدث معه في مرح طوال الطريق .

وعندما بلغا مدخل المزرعة ، كانت هناك سيارة تعترض عند البوابة

فقال :

- لا ريب انه 'جيم' ، يريد ان ينطلق للقائك .

ولكن 'برو' عرفت السيارة على الفور فقالت :

- كلا . إنه 'جوش' كيلين .

وفي هذه اللحظة ، وثب 'جوش' خارج عربته ، وأسرع ركضا ، وفتح

الباب لـ 'برو' :

- كنت ماضيا الآن بالذات للبحث عنك .

وحيا السائق الآخر قائلا :

- شكرا يا 'بوب' . إنها لمكرمة منك ان رافقتها . شكرته 'برو' بدورها ،

وكافاته بابتسامة قبل ان تهبط من السيارة . وصفق 'جوش' الباب

خلفها ، ثم بحركة حازمة ، أمسكها من ذراعها ، وجذبها حتى سيارته

في عنف ، وهناك ، دفعها دون مراعاة ، فوق المقعد ، ثم أخذ مكانه هو

نفسه أمام عجلة القيادة .

الفصل السابع

بدا الاسبوع التالي كأنه لا يريد أن ينتهي ، فقد استعادت 'برو' السيارة المستأجرة بعد إصلاحها ، وبذلك استطاعت أن تمضي لزيارة 'دافيد' كل يوم دون أن تززع 'جيم اللاريس' . ولكن لم يكن أمامها ما تفعله طوال اليوم ، بعد ذلك .

ولكي تشغل نفسها كانت ترافق أباهما في بعض الأحيان ، بل وتساعده في نشاطاته المختلفة عند المناسبات . وعندما لايتسنى لها مرافقته كانت تظل في المزرعة ، تعد بعض الأطباق الصغيرة ، أو تصنع بعض المربات بفواكه الحديقة ومر الاسبوع من غير أن ترى 'جوش' ، وعلى العكس ؛ أقبلت 'لوسي كيلين' إلى المزرعة في اصيل أحد الأيام . ولم يكن 'جيم' قد غادر البيت في ذلك اليوم . وما إن دخلت حتى لمحت 'برو' وميضاً غير عادي في عيني أبيها . كان مجرد وجود تلك المرأة كافياً لكي يتالق وجهه . كلا . من المحال أن تخطئ . كان يحبها . ولكنها لم تكن واثقة من 'لوسي' ، فقد لاحظت أنها لا تشاركه نفس الشعور . كان يبدو عليها أنها تكن لـ 'جيم' وداً كبيراً ، ولكن لم

يكن الأمر يزيد على هذا .

وتبادلت المرأتان الابتسام . وسالتها "برو" :

- هل عادت ابنتك إلى الكلية .

هزت "كوسي" رأسها وهي تتنهد وأجابت :

- ليس بعد . إنها تسبب لي كثيرا من القلق .

لم تجد "برو" مشقة كبيرة في تصديقها ، فقد بدا لها من القليل الذي رآته أن "كيني" أسوأ من أخيها ، ولم يكن هذا بالشيء القليل .

وسال "جيم" اللارديس :

- هل تتشاجر دائما مع "جوش" ؟

رفعت "كوسي" عينيها نحو السماء ، وتنهت تنهيدة تقطع نياط القلوب وقالت :

- من سيء إلى أسوأ .

وقال "جيم" في إصرار :

- يجب أن يكون "جوش" أكثر تساهلا .

لم تملك "برو" نفسها من الضحك وقالت :

- كأنك تطلب من فيل أن يطير .

حدثت "كوسي" "برو" في حين القي "جيم" إلى ابنته نظرة استهجان وقال :

- ما هذا الذي تقولين يا "برو" ؟

- إنني أسفة . ولكنني لم أنكر إلا الحقيقة . إن "جوش" ليس مثالا للتساهل بالذات ، وتفهمه للطبيعة النسائية مسألة يجب أن يعيد

فيها النظر . قالت "كوسي" وقد بدا عليها التفكير :

- هل هذا رأيك ؟

- نعم . ولكن رأيك أنت قد يختلف كل الاختلاف لأنك تنظرين إليه بعين الأم . أما من ناحيتي أنا فلا يدهشني أن أعلم أنه يعامل أخته بطريقة خشنة ، وإنهما يتشاجران باستمرار .

- وهل تتشاجرين أنت كثيرا مع "جوش" ؟

ونظرت "كوسي" كيلين إليها في إصرار ، بحيث تغير وجهها ،

وحولت بصرها وهي تقول :

- نعم ، عندما يحاول التهجم علي . وربما ذلك لأنني تربيت في الخارج بأساليب مختلفة ، ولكنني لن أستطيع أبدا أن اتفاهم مع رجل

يصدر إلي أوامر ، ارتسمت على وجه "كوسي" ابتسامة وقالت :

- أه . لدي إحساس بأن "جوش" أساء التصرف معك .

وقال "جيم" لابنته بعد انصراف مدام كيلين :

- يسرني أنك بدأت تعجبين بـ "كوسي" .

نظرت "برو" إليه وهي تبتمس ابتسامة زاخرة بالحنان . تاكدت الآن أن أباهما يحب "كوسي" ، وأن حبه من طرف واحد ، فإن "كوسي" تحب

"جيم" كما تحب الأخت أخاها ، وبذلك لم تخطئ أمها إلا نصف خطأ .

- نعم . إنني أحب "كوسي" كثيرا .

ولم يملك "جيم" أن يخفي ابتهاجه عندما سمع تلك الكلمات ، والقي إلى "برو" نظرة مآكرة وقال :

- يسعيني ذلك . أرجو أن تقولي نفس هذا القول عن "جوش" ذات يوم .

أريد وجه "برو" على الفور وقالت :

- إن ذلك ليدهشني كثيرا .

اقترب يوم خروج "دافيد" . اتصلت المريضة بـ "برو" وأخبرتها بأن الجراح سيمر للمرة الأخيرة للاطمئنان على صحته يوم الاثنين ، وأنه

من المحتمل أن يسمح لـ "دافيد" بمغادرة المستشفى في نفس اليوم . ولهذا فقد جمعت "برو" بعض ثياب "دافيد" ووضعتها في حقيبة مضت بها إلى المستشفى .

وفي صباح يوم الاثنين خرج "جيم" للعمل في الحقول على مقربة من المزرعة ، وجلست "برو" بجوار التليفون ، على أهبة الإسراع عند رنين

الجرس . واصابها الانتظار بالعصبية ، وطافت بذهنها كل أنواع الأفكار . كانت شديدة اللهفة طبعاً على أن تجد "دافيد" وأن تستأنف

معه بقية الرحلة . ولكنها من ناحية أخرى أحست بالندم لاضطرابها إلى ترك المزرعة وتلك المناظر المألوفة بـ "يوركشاير" ، فقد اكتشفت أثناء

إقامتها إلى أي حد هي مرتبطة بابيها ، والرحيل مع "دافيد" معناه

أن تنتزع نفسها من هذه الدنيا التي أصبحت غالبية لديها "دافيد" ... حدث شيء منذ الحادثة أبعدهما الواحد عن الآخر . وليس معنى ذلك أنه أصبح غريبا عنها ، ولكنه عاش تجربة لم تشاركه هي فيها ومن ناحيتها هي عادت وارتبطت بطفولتها ، وهي حقبة لم يشاركها فيها "دافيد" ، وأدركت أنها في ذلك الوادي ، تشعر حقا بانها في بيتها .

أوه ... إنها مضت إلى المستشفى كل يوم . ولكن التيار راح ، من يوم إلى آخر ؛ يزداد فتورا . كانا يتحدثان في مرح ، ولكن "برو" أحست أن كلا منهما يخفي بعض الأشياء عن الآخر . انحفر بينهما خفية ؛ خندق من غير أن تستطيع أن تفهم السبب في ذلك .

حاولت أن تطرح عنها تلك الأفكار القائمة ، فمهما يكن ، ما إن يجتمعا معا من جديد ، وبعبدا عن هذا المكان فسوف يستعيدان انسجامهما ، فلماذا يفتر حبهما ؟ لم تتصور أن تتزوج رجلا آخر غير "دافيد" ، ثم إن اصداقهما قالا لهما دائما إنهما سيكونان زوجين مثاليين .

وبعد أن أعدت لنفسها فنجانا من القهوة ، عادت فجلست بجوار التليفون . ماذا ينتظر لكي يرن . كان البيت لاغبار عليه . كما تكون الحال دائما بعد مرور "بيتي كين" . ولم يكن أمامها عندئذ إلا أن تجمل نفسها بالصبر .

بعد ذلك بربع ساعة ، بينما كانت تغسل فنجانها ، دخل "جوش" المطبخ كالإعصار ، وكان يرتدي بنطلون من الجينز وبلوفر أسود من الصوف .

وبعد أن تغلبت على بهشتها ، راحت تفحص الدخيل . كان الزي الذي يرتديه يدل على الإهمال على غير عادته . وهو الذي يحرص على أناقته دائما ، وبدا في شدة الغضب بحيث لم يهتم بمظهره . ووبت "برو" إلا تواجه مزاجه العكر ، ولكنه كان واقفا أمامها ، ولم يكن في مقدورها الهرب . ولهذا رأت أن من الحكمة أن تجيبه بلهجة مهذبة :

وأجابها على تحيتها دون أن يغير شيئا من تجهمه ، فقالت له :
- إذا كنت تريد مقابلة أبي فهو في "لارك ميدوز" .
- كلا . إنما أتيت لأراك أنت .

لم تطمئن لها لهجته المحايدة . ماذا يريد منها ثانيا ؟ حاولت أن توحى إليه أن وراعها عملا ، وقالت :

- إنني أسفة - لاوقت عندي للمناقشة . يجب أن امضي إلى المستشفى ما بين لحظة وأخرى .

- إن هذا ليدهشني كثيرا .

لم ترق لهجته الحاسمة لها . فالقت بممسحتها على الأرض وحدثت في عينيه قائلة :

- إن ما تريد أن تذكره لي سوف ينتظر . فإنني أتوقع مكالمة تليفونية لكي امضي واصطحب خطيبي .

كانت نظرة "جوش" باردة لا يمكن إدراك معناها .

- إن خطيبك غامر المستشفى .

- كيف ؟

- غارها في الساعة الثانية .

حولت "برو" رأسها نحو الباب ، كما لو أنها تتوقع أن ترى "دافيد" يجتاز عتبة المطبخ .

- كلا . إنه لن يأتي هنا .

- ولكن أين هو ؟ ... وماذا حدث ؟ ... ولماذا لم

مات صوتها في حلقها . وتاملت هيئة "جوش" الغاضبة . واستولى عليها الخوف وانفجر هو أخيرا وقال :

- لا أدري أين هو . ولكنني ساهتدي إليه ... وعندما أجده سادق رأسه .

ارتدت "برو" إلى الوراء بضع خطوات إزاء عنف تلك الكلمات وقالت :

- ولكن ... هلا شرحت لي أخيرا

- إنه هرب مصطحبا أختي معه .

صعقت "برو" ، وراحت تقول متلعثمة :

- هرب ؟ ... "دافيد" ؟ ... ولكن أين ؟ ... إنني لا أفهم ... ما العلاقة بين خطيبي و أختك ؟

أخترقت عينا "جوش" "برو" بسهامها . كما لو أنه يحملها مسؤولية ما حدث وقال :

- قلت لك ذلك هربا معا كينسي وذلك الوغد القذر .

- انا لا اصدقك .

سرت رعشة في ظهر 'برو' . أحست بان لونها يصفر . وحذت 'جوش' بنظرة زالغة . وتنهى هو في قوة وهز كتفيه وهو يكاد يخرج عن طوره .

- إن هذا لا يسرني انا الآخر . ولكنها الحقيقة . وقد عرفتھا صفة . أصيب احد رجالي اليوم بجرح ونقل إلى المستشفى . وعندما عاد مضيت إليه لاستقي انبائه . فقال لي إنه رأى عربة كينسي امام المستشفى . وقد ادھشني ذلك قليلا! لأن اختي لم تقل لي إنها ستذهب إلى هناك .

ازداد ضغط 'برو' وقالت :

- ولكن .. من انباك بانها رحلت مع 'دافيد' ؟

- زوجة الرجل . كانت تنتظر في صالة الانتظار بينما يعالج الطبيب زوجها . ورات كيني تخرج من إحدى الغرف مع رجل يتابط ذراعها .

- ولكن ليس هناك اي دليل على انه 'دافيد' .

لم تشأ - في اضطرابها - أن تصدق ما تسمعه . إذ كيف تتصور مثل هذه السخافة . إن كينسي لم تلتق بـ 'دافيد' غير مرة واحدة . وهي تكاد تخرج من سن المراهقة . ولم يكن 'دافيد' من ذلك النوع الذي يهرب مع مراهقة في سن الثامنة عشرة .

- إنني إتصلت بالمستشفى . وقد أكدوا لي أن مسيو 'هنلي' خرج حقا مع كينسي . أحست 'برو' برأسها يدور . وأوشكت ساقاها أن تخذلاها . وأخذتها رعشة . واحتقنت شفاتها . وهي لا تزال تحاول أن تنكر الحقيقة غير المقبولة .

- إذا كان الأمر كذلك فسوف تعود به هنا . ولن يتأخرا عن الحضور بالتأكيد .

نظر 'جوش' إليها وهو يهز رأسه . ولم يكن لومضة الرئاء التي قرأتها في عينيه إلا زيادة في ألمها . وقالت :

- لو صدق هذا فإن كينسي تكون قد مضت إلى المستشفى صفة . ويظهر أن 'دافيد' كان على وشك الخروج فعرضت عليه أن ترافقه .

وتابعت فكرتها قائلة:

- نعم . هذا هو ما حدث بالتأكيد . إن أختك تريه الآن المشاهد الطبيعية للوادي . ولهذا لم يصل بعد . ومن رأيي أن هذا هو التفسير المعقول .

ابتسم 'جوش' وقال :

- لعله معقول . ولكنني أخشى أن يكون غير حقيقي .

- وما ادراك ؟

خشيت 'برو' أن يكون قد عرف عن الأمر أكثر من ذلك فعلا . والواقع انه أخرج من جيبه ورقة مكورة قليلا وقال :

- أعطت كينسي هذا الخطاب لإحدى المرضعات لكي تضعه في صندوق البريد . وعندما ذهبت إلى المستشفى أعطته لي .

وبسط الخطاب لـ 'برو' . ولكنها لم تشأ أن تأخذه قائلة :

- لا أريد أن أقرأ خطابا مرسلا إليك ماذا تقول أختك ؟

- إنه ليس مرسلا إلي . ولم تكتبه كينسي . إنه من خطيبك . أراد أن يرسله بالبريد حتى لا تتلقيه إلا صباح الغد .

وارتسمت في ثنية شفته ابتسامة وقحة بعض الشيء . وأرشف .

- وذلك لكي يتأكد من انه سيكون بعيدا بما فيه الكفاية قبل أن ينكشف أمر فراره .

وأرغم 'برو' على أن تأخذ الخطاب . وقلبته بين أصابعها المرتجفة في كل الإنحاء . وهي لا تجرؤ على فسه .

- هل قرأته ؟

- نعم . كان يجب أن أعرف ...

- لم يكن لك الحق ...

- كنت مستعجلا . ولم أكن أعرف ما يدور . بل إنني تصورت أنك دبرت أنت وخطيبك هذه الخطة لتجنيب كينسي العودة إلى الجامعة .

ولكنني عندما قرأت هذه الرسالة أدركت انه لا دخل لك في هذا الأمر .

بسطت الخطاب . وراحت تركز ذهنها على العبارات التي كتبها 'دافيد' . وفهمت بالكاد . في سورة غضبها واضطرابها : كلمة : من

كل ثلاث كلمات .

وكانت كلمة "أسف" تتكرر عدة مرات . وعندما فرغت من قراءته رفعت عينين مشدوهتين وقالت :

- إنه يقول إنها متحابان .

قال "جوش" وهو يكظم حركة تدل على نفاذ الصبر :

- إنني أعرف ، فقد قرأته .

- وسيتزوجان بمجرد ما يستطيعان .

وفجأة ، انفجرت تضحك في عصبية .

- إننا مخطوبان منذ أكثر من سنة . وكان يجد دائما العذر لتأجيل تاريخ الزواج . كان لا يكف عن القول بان لا شيء يدعونا إلى الاستعجال ، وأن الحياة أمامنا . وهو الآن يريد أن يتزوج حالا .

نظر "جوش" إليها في هدوء وقال :

- سافعل كل شيء لكي أمنع هذا الزواج .

- إنني لا أفهم شيئا مما يدور . إنها تعارفا بالكاد . فكيف استطاع كل منهما أن يقع في حب الآخر .

- كانت "لينسي" تراه كل يوم منذ اللحظة التي جاعته فيها بالازهار . ومن الواضح انها أحبته من اول نظرة . رياه ! لو انني استطعت أن أخمن ذلك ، لارسلتها إلى الكلية دون تأخير . ولكنها تكتمت الأمر بحيث لم يرق إلى أي شك . ولدي إحساس بانها هي المدبرة الرئيسية لهذه المسرحية المعقدة .

ومرر يده خلال شعره وأردف ، كما لو كان يأسف : كل ما فعله خطيبك هو انه سايرها ، ولكن ما الذي بهاء لكي يتخلى عنك من أجل فتاة في الثامنة عشرة من عمرها .

تخلى عنها ؟ لم ترق لها الكلمة . ولكن كان لا بد لها أن تعرف الكلمة المناسبة تماما .

واستطرد "جوش" يقول : لا ريب انه اغتر . ومهما يكن فإن شباب "لينسي" لا يمنعا من أن تكون فاتنة . ولا ريب أن رأسه دار وهو يراها ترتمي بين نراعيه . ولكن هذا لا يبرر ما فعله ، فهو أكثر نضجا ، وكان لا بد أن يفكر لها وله .

موجة فجائية من الحرارة صبغت وجنتي "برو" بالحمرة ، وقالت :

- إنها عملت على إغوائه ، وافلحت .

هز "جوش" كتفيه وقال :

- إن من في سنها يتعلق بأي احد ، ويتصرف بعيدا عن العقل .

- يبدو لي أن من أسهل الأمور أن تلقي كل شيء على حساب العقل . إذا كانت قد تصرفت هكذا فذلك لأنها من أسرة "كيلين" ، وهذا كل شيء .

رماها "جوش" بنظرة صاعقة . ولكن "برو" لم تابه واستطربت :

- إنها ابنة أمها حقا .

يبدو أن التاريخ يعيد نفسه . كان "دافيد" لي انا ، وكان هذا كافيا لأن يجعله جذابا لا يقاوم في عيني اختك . ويخيل إلي أن بعض النساء يجدن متعة كبيرة في سرقة رجال الأخريات .

و"دافيد" لا يزال تافها ، ولا يعرف ما يفعل . إنما هي "لينسي" التي نبرت كل شيء .

كانت نظرتها محمومة ، وجسدها يرتعش من فرط اضطرابها ، فلم تتمكن من التوقف عن الكلام ، فصاح بها "جوش" :

- اسكتي . إنك أصبحت هيسيرية .

ولكن "برو" ، رغم لهجة "جوش" الجافة استمرت تصب كلماتها في غير ارتباط ، بل إنها لم تعد تدري سبب غضبها . هل كانت تتالم بسبب خيانة "دافيد" أو بسبب خيانة أبيها ؟

اختلف كل شيء في ذهنها ... لا بد لها أن تتكلم ، وأن تستمر في الكلام لكي تحجز الدموع التي تتجمع تحت جفونها .

- إنني أعرف الآن ما عانته أمي ، وإذا أتذكر أنني كنت أنذر لاضطراري إلى سماع نواحها ، ولكنني لم أشعر بما قاسته ... كنت بعيدة كل البعد عن تصور ما تحس به .

وعضت شفتها لكي تمنعها من الارتعاش ثم استسلمت للبلوح بأسرارها قائلة :

- ما كان يجب أن أتى هنا أبدا . ولكن كيف كان يمكن أن أشك في أنني سافقد "دافيد" ، وأن كل هذا الكابوس سيبدأ من جديد . كان يجب أن أتوخى الحذر في اليوم الذي قدمت فيه اختك الأزهار لـ "دافيد" . ولكنني أسأت فهم تصرفها . ظننت أنها تريد أن تشعرني بالذنب

لنسياني فحسب . ولكنني كنت ساذجة ، فقد كانت فكرتها قد نبتت في رأسها ، ووصلت إلى غرضها ، كما فعلت أمك مع أبي . إنه نفس الشيء نفس الشيء .

وبلغ صوت 'برو' حدته ، وتسارعت عبارتها فصفعها 'جوش' فجأة . كانت هذه الوسيلة الوحيدة لإيقاف هذا الهذيان . واستولى عليها الذهول ، واتسعت عيناها لحظة ، وبصرها ضائع في الفراغ ، ثم انحدرت الدموع وبللت وجنتيها . وأخذها 'جوش' بين ذراعيه ، وراحت تبكي ورأسها على كتفه .

أحست الفتاة بلمسة الصوف القليلة الخشونة على وجهها . وراح 'جوش' بيد رقيقة ، يداعب شعرها الناعم . ولم تستطع رغم ما بذلت من جهد أن تهدئ نفسها . وعاد الألم ينتابها في فترات منتظمة ، منتزعا منها الأنين والتاوهات .

ونضبت دموعها شيئا فشيئا . وحاولت ، ووجهها مدفون في كتف 'جوش' : أن تسترد أنفاسها .

وأحست عندئذ بيده تتخلل شعرها وتميل رأسها إلى الخلف . وحدث 'جوش' في عينيها وتمتم :

- إلا تعتقدين أن الوقت قد حان لكي تفتحي عينيك ؟

أجفلت ، في حين استطرده هو يقول :

- إنك لا تحبينه .

أحست بقلبه يثب بين ضلوعها وقالت :

- دعني وشأني .

ولكن ، بدلا من أن يطيعها ، طوق خصرها بذراعيه القويتين واحتفظ بها بينهما أسيرة .

- ما أنت إلا ... من أسرة كيلين . اتركني ... اتوسل إليك . اشعر بانني لست على ما يرام .

واستطاع أن يهمس في تجويف أنفها :

- بل أنت على أتم ما يرام يا 'برو' ، الآن . أنت هنا أفضل مما لو كنت مع ذلك الشخص .

كان وجه 'برو' ملتهبا :

- ماذا تقصد بهذا الكلام ؟

وحدثت بعينيها عبر نافذة المطبخ ، من فوق كتفه . وراحت تراقب أشعة الشمس التي تتلاعب على أغصان الأشجار العارية .

- أتريد أن تراني اتخلى عن 'داليد' من غير إثارة متاعب ؟ أهذا هو ما تقصده ؟ إن أختك الصغيرة أغوته ، ولهذا يجب أن أقنع نفسي بانني لم أحبه أبدا ... أرى أن الـ 'كيلين' يساندون بعضهم البعض حقا .

التزم 'جوش' الصمت . وأصم أذنيه عن اتهاماتها وقال :

- إنني واثق أنك تكنين له مودة حقيقية ، ولكن ليس هذا هو الحب يا 'برو' ... وأنت تعرفين ذلك تماما . فلماذا إذن تكذبين على نفسك ؟

كان خد 'جوش' قريبا جدا من خد 'برو' . وأحست بلمسة لحيته النامية على بشرتها ، وملاها عطر الكولونيا بمشاعر حلوة . وخفق قلباهما بنفس الإيقاع المدله .

وحدثت على نفسها فجأة لاستسلامها هكذا واستدركت :

- لست أنت الذي ستعلمني ما هو الحب .

ولكن خيل إليها وهي تنبس بتلك الكلمات أنها تنطق باكذوبة دون أن تستطيع أن تفهم لماذا ؟ وأحست في تجويف أنفها بنفس 'جوش' ، وتلك الملاطفة الخفيفة جعلتها ترتعش وتمتم 'جوش' :

- لماذا لا تريدين أن أحدثك عن الحب يا 'برو' مم تخافين ؟

حررت رأسها بحركة مفاجئة وقالت :

- أنتم دائما هكذا يا الـ 'كيلين' . لا يمكن أن تتغيروا أبدا .

- يجب أن تفتحي عينيك إن عاجلا وإن أجلا .

راح 'جوش' يمرالآن بشفتيه على عنق 'برو' ، وإزاء هذه الملامسة الخفيفة جدا ، والأشبه بلامسة ريشة ، ارتجفت 'برو' ، وصعدت القبلة ببطء من عنقها حتى وجنتها مقتربة في رفق من شففتيها . وامتزج الألم باللذة ، وأحست 'برو' بأن قوة خادعة تتغلغل في كيانها . قوة مسكرة ومثيرة في نفس الوقت . وحاولت عبثا أن تتحرر . كان 'جوش' أقوى منها ، ويذا أن نيته قد استقرت على الاحتفاظ بها أسيرة بين ذراعيه . بل إنه لم يصبها بأى أذى ، وهذا ما جعل

مقاومته تبدو أصعب . اوه ، لقد كانت قمينة بان تستسلم في تلك اللحظة، ولكن كان ذلك محالا ، بعد ما قال وما فعل ، فإن ذلك يكون خضوعا مهينا . ومع ذلك ، فقد كان لا بد لها من أن تقاوم السحر الذي يمارسه 'جوش' عليها ، والا تدعه يحس اضطرابها ، فإنها لتكون هزيمة منكرة لو أنه يدرك أنه انتصر عليها تقريبا .

- اقول لك دعني ... لم اعد اريد قبلك ولا محاولتك لإغوائي . إنك لست خيرا من بقية أسرتك .

توتر 'جوش' ، وخفف عنقه لحظة ، ثم ضغط بيده من جديد على كتفي 'برو' حتى ألمها وقال :

- بم تهمينني هذه المرة ؟

- لا تظن على الخصوص أنك خدعتني بمناوراتك . إنني فهمت كل شيء على الفور فما إن عرفت أنني مخطوبة حتى حاولت إغرائي ... نفس الشيء دائما .. كاختك وكما حدث لامي .

- ليس هذا صحيحا .

استطاعت 'برو' أن تقرا في عيني 'جوش' السوداوين كل غضبه ممتزجا بشيء من الدهشة .

لم يتوقع أن يراها حادة الذكاء ، وقد أحببت خطفه ، ودهشته .
- اوه بلى . هذا صحيح تماما . كنت تحسبني غبية بلاشك . ولكنني فهمت لعبتك الصغيرة ... ولم تجز علي . ولسوء الحظ وقع 'دافيد' في حبالك أختك . ولكن إلى متى سيوم الأمر . أراهنك على أنها ستعلمه حتى قبل أن يحدد موعد الزواج رماها 'جوش' بنظرة حادة وقال :

- وحتى إذا حدث ذلك ؟

نهلت 'برو' وقالت :

- وحتى إذا حدث ذلك ؟ أهذا سيان عنده ؟ أن تلهو معه ثم تهجره

وتعود إلى البيت في استقبال حافل ؟ ... مرحى ! ... يا للأخلاق !
وراحت تضحك في عصبية وقد اصفر لونها . ونظر 'جوش' إلى عينيها المحمرتين من الدموع وقال :

- ليس هذا ما عنيته ... إذا هجرته فهل تعودين إليه ؟

لم تكن هذه الفكرة قد خطرت ببالها بعد ، ولكنها وهي تفكر فيها الآن ، سرعان ما البركت أن كل شيء بينها وبين 'دافيد' قد انتهى ، إذ كيف تستطيع أن تطيق رؤيته بعد أن أهانها وخانها ، تماما كما حدث لأمها .

الح وعيناه محدقتان فيها :

- وإن ؟

استربت 'برو' شعورها ، وحدجته في هدوء : 'كان 'جوش' آخر شخص تبوح له بذلك .

فاعترافها له بأنها تخلت عن 'دافيد' معناه أن الطريق قد أصبح خاليا امامه هو ، وقالت له :

- اهتم بشؤونك .

اعترته جفلة خفيفة ، ورماها بابتسامة نافذة ، ثم ، ومن غير أن ينطق : استدار على عقبه وخرج . ولو أنه صفق الباب خلفه لامكنها على الأقل أن تلغنه وتشتمه ، ولكنه اغلق الباب بكل هدوء ، واختفى تاركا إياها تواجه مشاعرها بمفردها

الفصل الثامن

عجزت نبرو في اضطرابها عن التفكير بهدوء . وصعدت إلى الطابق العلوي بعد انصراف "جوستين" ، متوترة ، كالإنسان الآلي . كان يجب أن تحزم حقائبها وأن ترحل قبل عودة أبيها . ستستقل السيارة المستأجرة وتنتقل إلى أبعد ما يمكن . لم تحتل فكرة رثاء "جوس" لها وإشفاقه عليها . وخير ما تفعل الآن هو أن تضرب صفحا عن تلك الأسابيع القليلة التي انقضت .

ولكنها لم تستطع أن تتخذ قراراً نهائياً ، وجلست في غرفتها ، وحقائبها مفتوحة ، وثيابها مبعثرة فوق الفراش . وراحت تغير مشاريعها كل خمس دقائق .

ما العمل ؟ هل تبقى أم ترحل ؟ إذا استقر عزمها على الرحيل ، فهل تواصل بمفردها الرحلة التي خططت لها هي "ودافيد" منذ وقت طويل ؟ أو تستقل أول طائرة إلى "أستراليا" ؟

راحت تتأمل متاعها بعينين فاحصتين ، وعضت شفتها . كيف تعود إلى "سيدني" تستأنف عملها القديم ، وتلتقي باصدقائها ... وكل ذلك

من غير 'دافيد' ؟ واي إذلال لاضطرارها إلى الاعتراف بأنه هجرها من أجل امرأة أخرى . إن غالبية الناس سيجاملونها بكل تأكيد ، ولكن البعض سوف يستهزئ بها سرا . وستجري الشائعات مجراها ، ولم تدرما الذي تخشاه أكثر . الشفقة أو الاستهزاء سرا ؟

ثم هناك سبب آخر يجعلها تخشى العودة إلى 'أستراليا' ، وذلك أن 'دافيد' و'لينسي' سيقيمان في سيدني بعد زواجهما بكل تأكيد ، وهذا امر حتمي ، فإن ابوي 'دافيد' يقيمون هناك ، ثم إن 'دافيد' لم يبد أبدا رغبته في الإقامة في 'أوروبا' لأنه يحب بلده كثيرا .

وإذ تتذكر الآن فرحتها لمجرد فكرة أنها سوف تقيم على مقربة من ابوي 'دافيد' . فقد كانت تحبهما كثيرا ، ولكن الفرص قليلة الآن في أن تراهما أبدا . كيف سيتصرفان عندما يعلمان بالقطيعة . مما لا شك فيه أنهما سيحزانان من أجلها ، ويغضببان من 'دافيد' الذي هجرها بمثل هذه الطريقة الفظة ، بل إنهما جديران بأن يخاصما ابنهما بسببها ، وهذا امر لن ترضاه 'برو' مهما يكن حقدنا على خطيبتها السابق .

والغريب أنها لم تستطع بعد أن تحدد شعورها نحو 'دافيد' ، فالمنطق يقول إنها يجب أن تكرهه ، ولكنها لم تستطع ذلك . فإن حبها له لا يزال باقيا ، وكل ما قد يفعله لن يغير من الأمر من شيء . والواقع أنها كانت تشعر بانها متضامنة معه ، فإن كلا منهما ضحية لال 'كيلين' ، كوالديها في عهدهما .

انصلق باب في الطابق الأرضي فجأة فاجللت ، ايكون ابوها قد عاد هكذا حالا ؟ ومع ذلك فإن ساعة عوبته لم تات بعد .

- هالو ... هل يوجد أحد ؟

صوت امرأة ... صوت 'لوسي كيلين' بالتأكيد . لم ترد 'برو' على أمل أن تنصرف الزائرة .

لاريب أن 'جوش' انبأها بالأمر . ولكن لماذا عساها أتت إلى هنا ؟ أرادت ، طبعا لكل احتمال ؛ أن تطلب من 'برو' أن تغفر لابنتها ، والا تأثير فضيحة بسبب هذه القصة ، فإن سمعة 'ال كيلين' في خطر . 'برو' ... هل أنت هنا ؟

طلق خشب السلم تحت خطوات مدام 'كيلين' ، فوثبت 'برو' من الفراش ، واغلقت حقائقها وأسرعت بإخفائها هي وثيابها في الدولاب ، فلم تكن هناك جدوى من أن تعلم مدام 'كيلين' بانها تنوي الرحيل . كان رحيلها أشبه بالهروب بصورة غريبة . كانت تتاهب لأن تفعل ما فعلته أمها التي نفت نفسها في آخر العالم ، وكان يمكن أن تمضي إلى أبعد من ذلك لو أنها استطاعت . نعم لقد قضت 'سوزان اللاريس' عشر سنوات من حياتها في المرارة ، أما 'برو' فليس في نيبتها أن تفسد حياتها بتلك الطريقة ، فكلما اجتر المرء الضرر الذي تسبب له فيه شخص آخر كلما ازداد هو نفسه مرارة وحقدا .

كلا . لن تعود إلى 'أستراليا' . لقد استقرت نيبتها الآن . يجب ألا تقع فريسة هذه الحلقة المكررة طوال حياتها . فليذهب ال 'كيلين' إلى الشيطان ... حان الوقت لكي يقاومهم أحد ، ويريهم أنهم ليسوا الأسياد .

كان باب الغرفة مواربا قليلا ، فطرقته 'لوسي' ودخلت . وكانت 'برو' جالسة فوق الفراش ، جامدة لا تتحرك ، وقد عقدت يديها حتى لا ترتجف .

- اواه ... يا 'برو' ... لا ... لا ادري ماذا اقول لك .

كان وجه 'لوسي' ممتقعا ، تماما كوجه 'برو' ، تنم عيناها الحمراءوان على أنها بكت . واوحت نظرتها الضائعة والزائغة ، رغم كل شيء ، للمرأة الشابة بالرتاء لها ، فلا بد أنها في شدة القلق فيما يتعلق بـ 'لينسي' . ولكن 'برو' أرغمت نفسها الا تبدي نحوها اي إشفاق ، فقد كان يجب أن تبقى هادئة وقاسية لكيلا تقع في فخ ال 'كيلين' .

- اظن أنك لن تعرفي ما يجب أن تقولي لي ، ولهذا ، افضل الا تقولي شيئا على الإطلاق .

وتقدمت مدام 'كيلين' نحو الفراش وقالت :

- إنني اعرف بماذا تشعرين يا 'برو' .

- إن هذا ليدهشني . انصرفي يا سيبتني ... أرجوك . لا داعي إلى الكلام حقا .

- إنني أسفة يا 'برو' .

ومدت مدام كيللين نراعيها نحو 'برو' ، وعيناها تتالقان بالدموع
وشفتاها ترتجفان :

- إنني أعرف أن الكلمات شيء قليل . ولكن صدقيني ... إنني
مضطربة ... كيف استطاعت كينسي أن ... وبدا التردد عليها وهي
تستطرد : الحق يا 'برو' أنني لم أشك ، لا أنا ولا 'جوش' : في شيء
وقد أذهلنا النبا .

وأمسكت بيدي 'برو' ، ولم يطاوع قلب الشابة على أن تقصيهما
عنها . كان يجب أن تتقبل ضررها بصبر ، وأن تحتل آيات تعاطف
تلك المرأة بالشجاعة مهما بنت لها بشاعتها .

وعادت 'لوسي' تقول وهي تنتحب :

- إنها ليست إلا طفلة ، لا تدري بعد ما تفعل . بقيت 'برو' متشككة .
ولم يرغب عن 'لوسي' كيللين ، فحاولت أن تبرر نفسها ، كما لو أنها
هي التي أذنبت .

- إنها وقعت في الحب ، وهذا كل شيء ، ولا يمكن أن يكون ذلك
الإحساس عميقا ؛ فإن كلا منهما لا يكاد يعرف الآخر .

لم يسع 'برو' إلا أن تضحك ضحكة مريرة ، وقالت :

- ليس إحساسا عميقا بالتأكيد . وأنا أعرف ذلك تماما .

كان يبدو في عيني 'لوسي' مزيج من الرثاء والقلق . وتوترت 'برو' ،
فلم يكن في مقدورها تقبل هذا الموقف من قبل المرأة التي أفسدت حياة
أمها . وعادت 'لوسي' تقول :

- إن هي إلا نزوة عابرة ، فهي مازالت صغيرة لكي تعرف ما هو
الحب الحقيقي ... مغامرة مع رجل أقبل من آخر العالم ، كما تعرفين .

لا ريب أن الأمر بدا لها رومانسية جدا ، خاصة وأنها كانت تزوره
خفية ، فإن ذلك ما كان إلا ليزيد الأمر إثارة . ولكنني أشعر بالخجل
من أجلها ، فقد كان يجب أن تفكر في الحزن الذي ستسببه لك .

- إنها لا تحفل أبدا بما أحس به .

أرسلت عينا 'برو' الخضراوان ومضات ، وحررت يديها ؛ واقتربت
من النافذة وهي تبذل جهدا يائسا لكي تسترد هدوعها . ولكن لم

تستطع أن تتمالك نفسها أكثر من ذلك ، فتركت العنان لغضبها وقالت :

- أوه ، لا تتظاهري بالبراءة . إنك تعرفين تماما لماذا اهتمت
ب'دافيد' ... ذلك لأنه كان لي فحسب . في هذا هي ابنتك حقا .

خيم صمت بارد وبقيت 'لوسي' جامدة لا تحرك وقد اتسعت
عيناها .

- لا تتظاهري بالشعور بالإهانة فأنت تعرفين تماما ما أعنيه . فإنا
لم انخدع ولم ننخدع أمي هي الأخرى .

- ماذا قالت لك ؟

واستردت 'لوسي' أنفاسها وهي تشعر بالحرج وقالت :

- ماذا قالت لك بالتحديد ؟

- الحقيقة .

اصطليخ لون 'لوسي' فجأة وقالت :

- لهذا إذن ... كنت باردة معي في مقابلتنا الأولى ؟

- نعم . فأنتم جميعا من طينة واحدة يا ال كيللين . ليس لديكم أية
فكرة عن الاخلاق أو الاحتشام . ولكن الا عيبكم الصغيرة لن تجوز علي .

قالت 'لوسي' في هدوء :

- إن أمك أخطأت يا 'برو' . كان زوجي كل شيء لي ، ولم انظر إلى
أي رجل آخر أبدا . فكان أبوك واحدا من أصدقائي وصديق طفولة

حميماً لزوجي . فكيف استطعت تصديق مثل هذه الغفطات .

ولكن 'برو' لم تقتنع وقالت :

- ومع ذلك فإن اتهامي لم يدهشك .

- كلا . لأنني أعرف الشكوك التي كانت تدور في رأس أمك ... جاءت
إلى بيتي ذات يوم ، وتشاحنت معي بطريقة مريعة . اتهمتني

وأهاننتني . وحاولت أن أقنعها ولكنني لم أضن أبدا أن الموضوع
سيتخذ كل هذه الأبعاد . وقال لي أبوك الا أعبا ؛ وأن زوجته مصابة

بداء الغيرة ، وعرضة لمثل هذا النوع من المشاحنات .

وقطبت حاجبها ، وبدا التمرد عليها الحظة ثم استطردت ؛ وكانت
تغار منك أنت أيضا يا 'برو' . وكانت تكاد تجن وهي تفكر أن أباك قد

يؤثرك عليها .

وبينما كانت لوسي تتكلم ، راحت برو تفكر . كان ذلك صحيحا ، وقد نغنته في ذهنها ، ولكنها تذكرت الآن نوبات الغضب التي كانت تعترى أمها عندما كان أبوها يأخذها بين ذراعيه ، وقد اسرعت وهي طفلة ونسيت كل تلك اللحظات المضنية .

وقطعت لوسي عليها افكارها قائلة :

وعندما رحلت إلى استراليا أخذت معها . وقد قال لي جيم عندئذ إنه متأكد من أنها فعلت ذلك بسبب واحد ، وهو أن تربيك في ظل حقدتها على أبيك لم تستطع برو أن تنكر كل ذلك ؛ فإن أمها لم تكف عن تلويث اسم جيم اللارديس . ولكن هل كان يجب أن تستنتج من ذلك أن اتهاماتها لم تكن تستند على أساس ؟

- ولكن ولديك وراثا ذلك عن أحد حقا .

- ذلك ... ماذا تعنين ؟

- إن كلا منهما يعوض الآخر .

نظرت لوسي إليها في ذهول وقالت :

- ولكن ماذا فعل جوش ؟

- جوش ... لنتكلم عنه بالذات . إنه فعل معي نفس ما فعلته لينيسي مع خطيبي . والفارق الوحيد هو أنني كنت أقل سذاجة من ذلك المسكين دافيد .

لم تصدق لوسي اننيها ، وقالت :

- هل حاول جوش إغراءك ؟

- أوه ، أرجوك . لا تتظاهري بالدهشة هكذا ، فانا لا اطيق الرياء . فهو ابنك على كل حال .

لم تسمع المرأتان ، في استغراقهما في حديثهما المحموم طقطقة درجات السلم . وفجأة ، اجفلت كل منهما وهما تسمعان صوتا رجوليا يقول :

- برو كان الصوت جافا . واستدارت لوسي و برو نحو الباب وراتا جيم اللارديس ، وعلى الفور حولت لوسي بصرها مذهولة وكان جيم من ناحيته شديد الامتقاع :

- إنني امنعك من مخاطبة مدام كيللين بهذه اللهجة .

ضحكت برو ضحكة صغيرة مريرة وقالت :

- مدام كيللين ! ... لا داعي لهذه الرسميات ، فإنني اعرف كل شيء عن علاقتكما ، وعرفت ذلك دائما . قالت لي امي كل شيء .

نظر جيم إلى لوسي نظرة وجيزة وقد اضطرمت وجنتاه . واستشهدت هذه الأخيرة به قائلة : قل لها إن هذا صحيح يا جيم إنها لم تشأ أن تصدق ذلك .

ولكن برو لاحظت أن مدام كيللين خففت عينيها وهي تنطق بهذه الكلمات :

- هو ذلك يا ابني ... ارو لي اكاذيب ، واعمل على ان اصدق انك لست مغرما بها . احد وبب ظهر جيم وتغضن جبينه وترد قبل ان يقول :

- كانت امك مريضة . كانت تختلق قصصا لكي تبرر مرارتها المستمرة . إنها كذبت عليك يا برو ، فلم يكن بيني وبين لوسي اي شيء ابدا ، وارجو ان تصدقيني .

قرات برو في عيني ابيها انه لا يكذب ، وكشفت فيهما ايضا تقززا كبيرا وحرجا اكبر ، لان الحقيقة التي نكرها لم تكن كاملة . لعله لم يقع عاشقا ل لوسي على الفور ، ولعل حبه لزوجته كان قد فتر تدريجيا . وكانت برو تعرف كم كانت المعيشة مع أمها شاقة ، ولا ريب ان حب ابيها لها كان جحيما ، وعلى الخصوص إقناعها بانه يحبها .

ولكن الحقيقة وضحت لها الآن وضوح النهار . ذلك ان الأمر انتهى بـ جيم إلى ان يعشق لوسي كيللين . ولعل زوجته مسؤولة عن ذلك باتهاماتها المتكررة . ولكن هل كانت لوسي مدركة هذا الحب . مهما يكن من أمر فقد كان جليا ان اباهما كان يتالم لان حبه كان من طرف واحد ، ونظرت المتسمة بالحزن والاستسلام كانت خير دليل على ذلك . مرت باصابعها خلال شعرها المشعث ، وراحت تبحث عن كلماتها . ولكن كل الكلمات التي يمكن ان تخطر لها ما كانت إلا لتقبو زائفة واحست بذلك تماما فاكتفت بان قالت :

- اغفرلي يا ابني .

تحولت برو إلى لوسي وتاهبت لكي تكرر اعتذاراتها ، ولكن

كوسي سبقتها قائلة :

- ليس الأمر خطيرا يا 'برو' . إنني أفهم جيدا . ولو أنني مكانك لتصرفت مثلك . وإنني أتصور ما احتملته وأنت صغيرة . واعتقد أن أمك لم تكن تدري ما تقول .

تنهت 'برو' ، فلم تكن كوسي على خطأ . واستطردت هذه الأخيرة .
- كان الأمر شديد القسوة علي عندما اتهمتني أمك . لم يكن هناك نرة من الحقيقة في كل ما كانت تزعمه . ومع ذلك فقد زرعت بذور الشك في ذهني . لعلني نون أن ادري ، أغريت 'جيم'
فإن مجرد ابتسامة لرجل يمكن أن يساء فهمها ، وأنت تعرفين ذلك تماما يا 'برو' . وما من امرأة تجهل هذه الحقيقة .

هل كانت تشير إلى 'جوش' ؟ أحست 'برو' بوجنتيها تضطربان . ولكن اللهجة التي تابعت بها كوسي 'حديتهما طمانتها ، فقد قالت :
- إن المرأة تحاول إرضاء الرجل ومجاملته فحسب ، ولكنه يستنتج على الفور أكثر الاستنتاجات جنونا .

وقد أرقنتني هذه القصة طويلا . ولكن 'جيم' أكد لي أن كل ذلك إنما يدور في رأس زوجته وليس في رأسه هو . ونظرت إلى 'جيم' وعلى شفيتها ابتسامة ودية قبل أن تردف :
- وقد أزاح ذلك عن ضميري عبئا ثقيلا .

وضحكت المرأتان ، ولكن لم تلبث كوسي أن تجهمت أساريها وهي تقول : كل ذلك إنساني تقريبا ... هل تعرف يا 'جيم' ؟ .. بخصوص خطيب 'برو' .

- نعم . إنني التقيت 'جوش' وروى لي كل شيء . إنني حزين أيضا من أجلك يا ابنتي المسكينة 'برو' . كانت 'برو' قد استعانت هدوما . والغريب أنها أحست بأنها تخفت من حملها الثقيل ، بعد أن عرفت الحقيقة عن أبويها أخيرا ، وقالت

- أوه ... من الخير كما تعلمان أن يقع ذلك فورا لا بعد الزواج .
أشرق وجه الرجل بابتسامة حارة وقال :
- يسرني أن تأخذي الأمور بهذه الصورة .
ولكن كوسي بقيت على قلقها وقالت :

- أين يمكن أن يكونا ؟ ليس الزواج سهلا في أيامنا هذه . هل تظن أنهما ذهبا إلى لندن ؟ هذا ما يعتقد 'جوش' . وأنت يا 'برو' ... ما رأيك ؟
- هذا محتمل .

تكلت 'برو' بلهجة محايدة وبت لو انصرفا عنها ، فهي بحاجة إلى أن تنفرد بنفسها . و قال 'جيم' مكثرا :
- مهما يكن من أمر فلا أرى كيف نستطيع أن نهتدي إليهما . بل ليس في استطاعتنا أن نلجا إلى البوليس فكينسي راشدة ، وعلى ذلك فهي حرة تماما في تصرفاتها وحركاتها .
وافقته كوسي قائلة : اظن أن في نية 'جوش' استخدام مخبر خاص .

وقالت 'جيم' متشككا : من الخير أن يتخلى عن ذلك ، فكانه سيبحث عن إبرة في كومة من القش .

اقتربت كوسي من الباب في عصبية ظاهرة وقالت :
- ألا تريدان أن نهبط وأن نناقش هذا الأمر أمام فنجان من الشاي؟ ...
إنني أموت من الظما . وأنت يا 'برو' ، ألا تشعرين بالظما ؟
- كلا . إنني أفضل البقاء في غرفتي .
نظر 'جيم' في قلق إلى وجه ابنته الممتقع وأساريها المتعبة وقال :
- هل كل شيء على ما يرام ؟
كانت الكذبة الرحيمة تفرض نفسها فقالت :
- نعم ... وإنما أشعر بإرهاق فحسب .

تحولت كوسي بدورها نحو المرأة الشابة وقالت :
مسكينة 'برو' ! ... يبدو عليك الإرهاق فعلا ، فانت قد تلقيت صدمة ويجب أن تخلدي إلى الراحة . يمكنك أن تستلقي في الفراش ، ساتيك بفنجان من الشاي حالا .

أجابتها المرأة الشابة بصوت خافت أثار دهشتها هي نفسها :
- لا داعي لذلك ، فلست بحاجة إلى شيء . لا تسيئي فهمي . ولكنني بحاجة إلى الانفراد بنفسي .
انصرفا على أطراف أقدامهما . وما إن أغلقت الباب خلفهما حتى

استلقت فوق الفراش وراحت تحديق في السقف . رأت نفسها في نفس هذا الوضع قبل ذلك بسنوات . صفير الريح على الأرض وزقزقة العصفير، ونباح كلب بعيد واصوات الرجال الراشدين في الطابق الأرضي ... نكريات كثيرة مرت في ذاكرتها . لشد ما تحس بالتعب الآن!

لم تلبث أن نامت يهددها ذلك الحلم الجميل . ورات في المنام حفل أطفال في قصر كيلين . كانت تهيم في الأروقة العديدة للقصر المنيف، والرياح التي تندفع داخل المدفأة جعلتها ترتعش . واختفى جميع الأطفال الآخرين . بالتأكيد ، فهم يلعبون لعبة الاستخفاء ، وفجأة سمعت حركة داخل دولا ب ففتحت في حياء . وكان الظلام مخيما في الداخل ، ولكن كان هناك من يتحرك . وامسكت يدان يديها وجنبتها إلى الداخل ، وراحت تصرخ ، غير أن شفيتين اطبقتنا على شفيتها وأرغمتاها على الصمت .

لم يقبلها احد هكذا أبدا قبل ذلك . وتملكها الذعر بحيث لم تفكر في أن تدافع عن نفسها ، فبقيت واقفة بلا حراك ، مبهورة الانفاس ، وسالت :

- من أنت ولكن صوتا ساخرا رد عليها قائلا :

" العفريت " . وعندئذ خرجت من الدولا ب ، وانضمت إلى الأطفال الآخرين .

وذاب حلمها في حلم آخر رات نفسها فيه تجري في الأرض الفضاء يطاردها شخص مثير للقلق .

- استيقظي ...

كان الصوت يبدو أنيا من بعيد بحيث لم تهتم "برو" ، ولكنه اقترب وازداد إلحاحاً ...

- هيا ... افتحي عينيك .

وفي لمح البصر رات "برو" منظر الدولا ب والفم المطبق على فمها ... كان إحساسا غريبا ومالوفا مع ذلك . وتقلبت في فراشها .

- كلا .

ولكنها فتحت عينيها . كان وجه "جوش" قريبا من وجهها . ولم

يدهشها ذلك ، فحتى قبل أن ترفع عينيها عرفت أنه هو ... وكان هو أيضا الفتى الشاب الذي قبلها في الدولا ب .

- كنت تتقلبين في كابوس ... ورفضت أن تستيقظي عندما ناديتك . كان "جوش" جالسا على الفراش ، ومنحنيا فوقها ، قريبا جدا منها . ونظرت في عينيها ، ولمحت من جديد ومضات الذهب التي تلمع في حدقتيه اللداكنتين . وخفض عينيها في شيء من الحرج .

- أين أبي ؟

- إنه عاد إلى عمله .

وداعب وجه "برو" في رفق ، فارتجفت وقالت :

- توقف .

وولبت من الفراش دفعة واحدة ، وأسرعت تبحث عن مشط لكي تمشط شعرها المشعث . وإذا أحست بنظرة "جوش" عليها قالت متظاهرة بعدم الاكتراث .

- هل هناك أنباء ؟

أربد وجه وقال :

- كلا . مضيت إلى وكالة للاستقصاء والتحريات في "يورك" ، لها مكاتب في البلد ، ولكن أملهم ضعيف في الاهتداء إلى الهاربين لقلة المعلومات التي المضيت بها إليهم .

استمرت "برو" تمشط شعرها بحركة آلية ، وقالت :

لن تمنعني من التفكير في أن أختك ستعمل "داليد" بعد بضعة أيام بكم جوش ضحكة قصيرة ساخرة وقال :

- إنك تاخذين رغباتك على أنها حقائق ، ولكنك لم تردي علي حتى الآن ... إذا هجرته فهل تعودين إليه ؟

لزمت "برو" الصمت . كم من الوقت قضت في النوم ؟ كانت الطريقة مظلمة ، وخيوط النهار تتراجع أمام الليل . ولم يكن النوم كافيا لتهدئتها فإن خطاب "داليد" كان صدمة حقا .

ولكن ألم يكن هناك شيء آخر ؟ إنها عاشت هذه الأيام الأخيرة في توتر مستمر ، ولم تكن تجهل السبب ، والغلطة تقع على ذلك الرجل الواقف امامها ، في غرفتها .

- ولكن ، من الذي سمح لك بالدخول إلى هنا ؟
كان صوتها يتهدج من فرط الغضب . وتمطى 'جوش' فوق الفراش
في تراخ وارتياح تام ، واجاب ، ويداه خلف راسه في شيء من
السخرية :
- انا امير الاحلام ، اتيت لأوقظ الجميلة النائمة في الغابة . وطبقا
للعادة المعروفة ، بقبلة . إنك تنامين منذ ساعات طويلة ، وقد وعدت
اباك ان اصعد وأرى إن كنت في حالة طيبة . ولكن عندما سمعتك
تتكلمين وانت تحلمين ادركت انك تعانين كابوساً . هل تتذكرين ؟
- كلا .
والقت نظرة إلى المرأة . ورات ان منظرها مهمل جدا ، فقد كان
قميصها مجعداً والبنطلون 'الجينز' غير لائق . وتضايقت . وقال
'جوش' :
- هل كنت في حلمك ؟
اجابته 'برو' في حدة :
- نعم انفجر ضاحكا وقال :
- ها انت ترين انك تفكرين في رغما عنك .
- اسمع ... إنني بحاجة إلى ان استبدل ثيابي .
حذجها 'جوش' وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقال :
- هل يمكن ان اطلب منك معروفا .
البيسي ذلك البلوفر الذي كنت تلبسينه في اليوم السابق ... فهو
يزيدك فتنة .
احمر وجهها ، ومشت في الغرفة في غضب وفتحت الباب في عنف
وقالت :
- إلى اللقاء يا مستر كيللين . إنني على ما يرام ، واشكرك . ولا
داعي لبقائك .
وقف 'جوش' على قدميه من غير ان يحتج . ولكنه ، بدلا من ان
يتصرف وقف امامها مقطب الجبين وقال :
- إنك تعرفين انه لن يعود .
ازداد احمرار وجهها وقالت :

- لا رغبة لي في مناقشة هذا الموضوع معك
كنتما متعارفين منذ وقت طويل ، اليس كذلك ؟
- الوداع يا مستر كيللين .
- كنتما مخطوبين منذ اكثر من سنة ، اليس كذلك ؟ . ولكن لم يتعجل
اي منكما الزواج . وقد كان ذلك كفيلا بان تفهمي .
- هل سكت ؟
ارسلت عينها ومضات . لم تعد تستطيع احتمال إبحاءاته اكثر من
ذلك .. متى سيكف عن مضايقاتها ؟ وقالت :
- اتعني انه كان يجب ان اتوقع كل شيء ؟ ولكن ربما نتكرم
وتخبرني كيف كان يمكن ان اتصور ...
وامسكت فجأة . وقد عانت إلى نهنها نكري :
- هل تتذكر اليوم الذي فاجاتنا فيه أختك ؟
- نعم . حسنا ؟
- إنني أفهم الآن ... إنها تصورت اشياء
ابتسم 'جوش' لها ، ولكن في غير خبث وقال :
- لم تكن مخطلة تماما .
هزت 'برو' كتفها وقالت :
- اواه ، بل كانت مخطلة ... إنك اغويتني ، ولكنني قاومتك بقدر
استطاعتي
- حقا ؟
تجاهلت السخرية في صوته ، واستطردت في 'برود' : من رأيي أنها ،
بعد ان شاهدت ذلك المنظر : مضت إلى 'دافيد' ، وحكت له ما شاهدته
ولهذا اعتقد 'دافيد' انني لم اعد متمسكة به ، وانه اصبح حرا .
- لم تبعد 'لينسي' عن الحقيقة تلك المرة .
واستطردت 'برو' ، حتى من غير ان تسمع ملاحظته ، وهي فريسة
اضطراب كبير في الظاهر .
- واغتنمت 'لينسي' فرصتها .
- وإذا كان هذا الذي تتصورين ؟
حل الغضب محل السخرية في عيني 'جوش' ، ولكنه ، لم يلبث ان

هذا وقال:

- إنك تسيئين الظن يا 'برو'. إنني لاحظت مع خطيبك وانتما في المستشفى كنتما تتصرفان كزميلين صديقين وليس كشخصين متحابين.

- ولكن .. ولكن من يسمح لك ... إنك لا تعرف عنا شيئا .

اتخذ صوت 'جوش' نبرة هادئة جدا وهو يقول :

- لا اعرف عنه هو شيئا ، نعم ، اما عنك أنت فإنني اعرفك جيدا .

ورمقها بنظرة مليئة بالتحدي ، واستطرد :

- إنني اعرف عنك اشياء كثيرة يا 'برو' ، ولكنها لا تكفيني كما أريد بعد،صاحت وهي تكاد تختنق :

- ما هذا الذي تقول ؟

واحست في فزع بانها راحت تضطرب ، فإن المغناطيسية المنبعثة من 'جوش' كان لا يمكن مقاومتها ، ورات انها ستفقد شيئا فشيئا جاشها ومن النظرة التي رمقته بها ادركت ان اضطرابها لم يغب عنه

- لا تدعيني اعتقد ان حياتك ستتوقف بسبب هذه القطيعة.وكانت عينا 'جوش' متقدتين ، محمومتين وقال :

انت لا تشعرين باي ياس ، فلا داعي للتظاهر .

طفح الكيل هذه المرة ، فانفجرت :

- اخرج . إنني اكرهك . لا اريد ان اراك ، ولا ان اسمعك بعد ... إن وجودك ... يكرهني .

احست 'برو' على الفور بان كلماتها اصابته في الصميم . وبدا انه ينكمش ، ورماعا بنظرة ثابتة وقال :

- هذا امر يؤسف له . وإنني حزين من اجلك . ولكن يجب ان تتحملي لحظة أخرى .

واقترب منها فارتدت خطوة إلى الوراء وقالت :

- لا تلمسني . مهما يكن فإنني راحلة غدا ، فلم اعد استطيع البقاء هنا.تجمعت اسارير 'جوش' . وبقيت لحظة طويلة وكل منهما يحدق في الآخر . وكان 'جوش' اول من قطع الصمت فقال :

- فلتذهبني إلى الشيطان إذن ارحلي ولا تعودي ابدا .
وخرج مسرعا ، وصفق الباب خلفه تاركا 'برو' مشدوهة . وطققت
درجات السلم تحت وقع قدميه كما لو كانت توشك ان تنكسر .

إحساس بعيد جدا عن الإحساس الهادئ والمطمئن الذي ربطها
بـ"دافيد" ... كان شيئا أقوى بكثير، انجذاب شديد لا يقاوم لم تشك
أبدا في وجوده قبل ذلك . فمنذ اللحظة الأولى أحست بتلك الجاذبية
الكبيرة ولم يكن لتصرفها العدواني أي تفسير آخر نعم ، لقد
خافت ... خافت ألا تتمكن من السيطرة على ذلك الإحساس الجديد
بالنسبة لها ، فقد بدت لها تلك الانجذابة الوليدة كعذاب . كقوة أسرة
استولت عليها ولا قبل لها للتحكم فيها ، وكانت الطريقة الوحيدة التي
خطرت لها لكي توقفها هي العدوانية ، وبذلك استطاعت أن تخفي
أحاسيسها عن "جوش" وعن نفسها في نفس الوقت . ولكنها لن
تستطيع أن تواصل هذه المهزلة بعد اليوم .

سيتعذر عليها بعد اليوم مقاومة "جوش" وقتا أطول ، فما إن يعرف
حقيقة مشاعرها فلن يهدأ له بال حتى تستسلم له ولكنها إذا
استسلمت فلن تصفح عن نفسها أبدا . فرغم أنها تحبه فإنه ليس من
نوع الرجال الذين يرتبطون بامرأة والدليل على ذلك أنه لم يتورع عن
إغوائها وهو يعرف تماما أنها مخطوبة ، فكيف تصدق أنه سوف
يحترم مشاعرها وعواطفها إنه رجل طائش ... "نون جوان" ... كل
شيء إلا أن يكون رجلاً يمكن للمرأة أن تحبه كما ينبغي .

قامت بشق النفس ، وعادت إلى حقائبها . كان لابد من الرحيل
بأسرع ما يمكن . ستمضي إلى لندن أولاً ، وهناك ستجد الوقت لكي
تفكر فيما تريد أن تفعل بمستقبلها ، فمن يدري ، لعلها توفق وتجد
عملاً في العاصمة أو لعلها تجد أن من الحكمة أن تعود إلى
"أستراليا" .

ولكنها كانت عاجزة عن التفكير في الوقت الحاضر . جمعت ثيابها
كيفما اتفق ، وحزمت حقائبها ، واغتسلت لكي تكون منتعشة في
الطريق . وألقت نظرة إلى المرأة طماننتها
حسناً . استعانت مظهرها العادي . ولكن وجهها كان لا يزال يعبر
عن الغليان الذي يموج داخلها .

هبطت إلى الطابق الأرضي ، ووجدت للمزرعة جواكيتيا غريباً . لو
إن أباهما كان موجوداً فحسب لاستطاعت أن تودعه . ولكن لعل هذا

الفصل التاسع

الواقع أن "برو" لم يكن في نيته الرحيل أبداً . فماذا تفعل في
"أستراليا" ؟ أما استئناف الرحلة التي خططت لها مع "دافيد" بمفردها
فلم تكن تشعر بآية رغبة في ذلك . ولكن شجارها مع "جوش" غير
معطيات المسألة ، ولاحتقتها كلماته الأخيرة كمقطع من أغنية مؤلمة ،
ولم تستطع أن تنسى اللهجة الباردة التي نطق بها : "فلتذهبى إلى
الشيطان" كان يخيل إليها أنه يكرهها وهو ينطق بتلك الكلمات ،
وبقيت "برو" مذهولة ، ووجها ممتقع ، على حافة الدموع . في هذه
اللحظة اندركت شيئاً رفضت التسليم به حتى الآن .

لم تكن كراهية تلك التي تشعر بها نحو "جوش" ... أوه . بل أبعد من
هذا . كيف إنها كانت عمياء حتى هذه اللحظة ؟ لابد لها ، منذ الآن ،
أن تفتح عينيها ، حتى ولو كان ذلك على حساب كرامتها . وسرت
العرشة في كل كيائها ، واستقرت نيتهما على أن تواجه الأمور على
حقيقتها .

نعم ، إنها مغرمة بـ"جوش" ... إلى حد الجنون والوله . وهو

افضل ، فإنه سيحاول احتجازها بالتأكيد .

جلست لكي تكتب له خطابا ، ولكن لم تسعفها الكلمات التي تبرز بها هربها . وتجمدت امام الورقة البيضاء ، وراحت تعض شفتيها وهي تتنهد ، ثم سطرت بضع عبارات على عجل واعدة اباه بان ترسل له اخبارها . وما إن فرغت حتى وضعت حقائبها في صندوق السيارة ، وانطلقت في طريقها إلى لندن . ارتعدت ، وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة . لماذا هذا الرحيل المفاجئ . كانت تعرف تماما أن قلبها يملئ عليها البقاء ، ولكن كبريائها فرضت عليها الرحيل . لن تلبث هذه الفترة من الانفعال أن تهدا بمجرد أن تبعد عن "جوش" . وتعلقت بهذه الفكرة وضاعت من سرعة السيارة .

وكانت الافكار قد استغرقتها فلم تلاحظ السيارة الكبيرة السوداء التي تجاوزتها وابتعدت عنها بضعة كيلو مترات ، ثم استدارت فجأة ، وتوقفت في وسط الطريق . وحسبت "برو" ان ساعتها الاخيرة قد دنت ، إذ كيف تستطيع ان تتجنب الاصطدام بهذه العقبة التي امامها بالسرعة الفائقة التي تنطلق بها . وداست على الفرامل ، وصرت العجلات صريرا عنيفا ، ودارت السيارة فجأة ، وانتهت طريقها في خندق بجوار الطريق .

ارتطمت "برو" بعجلة القيادة في عنف . وحاولت ان تحرر نفسها وهي على حافة فقدان الشعور ، وبعد بضع لحظات احست ، في غموض بيدين تفكان حزام الامان ، فرفعت راسها وصعقت "جوش" !

هزتها رعشة عصبية من راسها إلى قدميها ، واخرجها "جوش" من العربية من غير ان ينطق بكلمة . وارتجفت عندما لمس صدرها بيديه . وصاحت :

- ماذا هناك لكي تستدير هكذا فجأة في الطريق العام ... هل انت مجنون؟ الا تكفيك حادثة واحدة ؟

- كان يجب أن امنعك من الرحيل باي ثمن .

رمته بنظرة محنقة وقالت :

- انت ... اتريد أن تقول إنك فعلت هذا عامدا ؟ . إنك لاكثر جنونا

مما اتصور . ماذا لو ان فراملي لم تستجيب ، ولو انني لم اتوقف بهذه السرعة؟

- لا يشغلك الامر . كنت سابتعد حتما .

وشدد "جوش" الضغط على معصم "برو" فانفجرت قائلة :

- إن بي رغبة في استدعاء البوليس ، فانت خطر عام .

ادخلها "جوش" بالقوة في سيارته ، وصفق الباب خلفها ، ثم جلس امام عجلة القيادة وقال : تجملي بالهدوء . وإلا فساظطر إلى ان اضربك - لن تجرؤ .

سطع وميض في عيني "جوش" وقال :

- اتريدين أن تراهني؟

رات "برو" ان من الحرص الا تتحداه ، فابتسم لها في شيء من السخرية وقال :

- أرى أنك لاتصيرين .

ضغطت "برو" على اسنانها ، ورمته بنظرة صارمة وقالت :

- دعني أرحل ... إنني في طريقي إلى لندن .

- هذا ما اعتقد تماما ، ولهذا اعترضت طريقك .

- ولكن انت الذي اصدرت امرك إلي بان أختفي .

تنهد "جوش" ونظر إليها مليا وقال :

- لم اشأ ذلك ... يجب ان تصدقيني يا "برو" ... إنني فقدت راسي ، وأندم على ذلك حقا .

احست "برو" عندئذ ، ورغما عنها : ببعض الاوتياح ، ولكن كان يجب الا تدعه يتملقها وإلضاع كل شيء . فاكتفت بان هزت كتفيها وقالت :

- لن يغير ذلك شيئا من قراري .

وخفضت عينيها ، فعندما ينظر إليها "جوش" هكذا تشعر بان قلبها يكاد يقفز من مكانه .

قال في رفق :

- أرجوك الا ترحلي .

وفجأة ، وبدون اي إنذار ، لمس عنقها فارتشعت وصاحت :

كلا . كان صوتها مضطربا . ولم يكن ذلك ليغيب عن "جوش" . ولكنه

استمر يقبلها دون ان ينطق بكلمة واحدة . واحست الفتاة رغم تصميمها بمقاومتها تضعف واضطرم كيانها بنار محمومة ، واحست بارتياح كبير عندما راته يرفع راسه .

وجمعت آخر قواها وقالت في حزم :

- بعني .

ثار 'جوش' ، وضم فكيه ، ورماها بنظرة سوداء وقال :

- لا تقولي لي إنك لا تزالين تفكرين في ذلك الوغد الذي هجرك . إنه لا يحبك ، ولم يحبك قط .

- وماذا تعرف أنت عن الحب ؟

قال 'جوش' بتأثر :

- اعرف عنه بالتأكيد اكثر قليلا مما تعرفين أنت عنه على كل حال . توقفت بجوارهما سيارة في هذه اللحظة ، وعرض السائق عليهما مساعدته ، ولكن 'جوش' شكره بسرعة فابتعد . وقال 'جوش' :

- لا ريب انه اعتقد أننا عاشقان يتعاركان .

ولكن 'برو' لم تكن رائقة المزاج لكي تضحك ، وقالت :

- نسيت انه كان يمكنك ان تقتلني . هل تتكرم بإخراج سيارتي من هذه الحفرة .

- اظن ان من الاوفق ان نتركها مكانها ، فبعد شتاء الايام الاخيرة اصبحت الحفر موحلة ، ولن نزيد الامر إلا خطورة . ساتصل بالجراج تليفونيا غدا لكي ياتي احد ويقطرها .

تنهدت 'برو' . ولكن لم يكن امامها خيار آخر . كان يبدو الآن بكل وضوح انها لن تستطيع استئناف الطريق في نفس اليوم .

- إن حقائبي في الصندوق .

اسرع 'جوش' بالذهاب لإخراجها ، ونقلها إلى عربته وقال :

- ساعيدك إلى ابيك .

- متى ستكف عن التدخل في اعمالى وحركاتى ؟

ولكن 'جوش' وضع حدا لاحتجاجاتها بان ادار المحرك . وضغط على شفتيه وهو يحدق بعينه في الطريق . وقال :

- لابد ان يهتم احد بذلك مكانك .

- اواه ، أنت تعلم انني ادبر اموري بنفسى منذ سنوات .

- حسنا . لم يكن ذلك بالعمل الباهر حتى الآن ، فقد اتخذت اكبر وغد في الدنيا خطيبا لك وركبت راسك في امور كثيرة لم يكن يجب ان تهتمى بها . ونظر إليها من ركن عينيهِ منتظرا منها ان ترد ، ولكن صمتها اثار حيرته فقال :

- ارى انه ليس لديك ما تقولين .

- إنني افضل ان اتجنب عراقا جديدا ، فما الجدوى ؟ لعل ذلك يروق لك ولكنه لا يروق لي . هذه اول مرة اتبادل احاديث متوترة كهذه مع احد وهي احاديث لا تؤدي إلى شيء .

ابتسم ابتسامة خافتة بمعان خفية وقال :

- اتعتقدين ذلك ؟ استطيع بكل سهولة ان اثبت العكس .

- لا اريد الاستماع إليك .

- كنت اشك في ذلك .

صبغت ابتسامته الساخرة وجهها بالحمرة ، وفجأة رات انه لا ينطلق في الطريق إلى المزرعة ، وانه يتوجه إلى قصر 'كيلين' ، فتوترت فوق مقعدها وقالت :

- إلى اين تذهب بي ؟

لقى إليها إحدى نظراته الباردة التي يعرف سرها وقال :

- ما رأيك ؟

- اعدني إلى ابي .

- فيما بعد .

- كلا . الآن فورا .

ومن غير اي تعليق ، انطلق في الطرقة المؤدية إلى قصر 'كيلين' . وراقبته 'برو' من ركن عينيها ، موزعة بين الغضب وإحساس اقل سلبية بكثير . ماذا تفعل مع رجل من نوع 'جوش كيلين' . وتمتمت في صوت لا يكاد يسمع :

- إنك تصيبنى بالجنون .

اوقف سيارته امام باب البيت من غير ان يعلق على عبارتها الاخيرة ، ونظر إليها مليا بوجه مضطرم وقال :

- 'برو' ... أرجوك ... لناخذ هدنة بضع ساعات ، ريثما نتناول الشاي مع أمي . إنها تحبك كثيرا ، وقد أحزنها ما حدث حقا ، فكوني لطيفة ، وبعيها تفهم أنك لا تحملينها أية مسؤولية . هل تستطيع الاعتماد عليك ؟

عضت 'برو' شفتها وقالت :

- بالتأكيد . إنني أقدر أمك كثيرا .

- اتفقنا إذن ... هل نتصافح ؟

وهزت 'برو' رأسها بالموافقة .

ومرت السهرة بهدوء وبدون أية مصادمات . وكان 'جيم اللارديس' قد انضم إليهم . وبعد عشاء شهي قضوا ساعات طويلة في تبادل الحديث على ضوء النيران المشتعلة في المدفأة . ثم عاد الأب وابنته إلى المزرعة . وكان للتعب أثره فنامت 'برو' على الفور . ولم تستيقظ من نومها في صباح اليوم التالي إلا على صوت عربات وحديث في الخارج .

كان 'جوش' قد أعاد سيارتها بمساعدة ميكانيكي . وبعد أن استحمت وارتدت ثيابها على عجل ، هبطت لكي تجده جالسا مع أبيها أمام فنجان من الشاي . وإذ راها 'جوش' حدى فيها مليا ثم قال :

- ها قد صحوت أخيرا !

نظرت 'برو' إلى ساعتها وقالت :

- ولكن الوقت ليس متأخرا جدا .

قدم لها أبوها فنجانا من القهوة وسالها :

- أتريدين بعض 'التوست والبيض' ؟

- كلا . تكفيني القهوة . شكرا

وجلست على حافة المائدة ، أمام 'جوش' . وابتسمت له ابتسامة خرقاء وقالت :

- أشكرك كثيرا من أجل السيارة .

اجابها في لهجة جافة :

- آواه ، هذا أمر طبيعي ، ومهما يكن فإننا المسؤول عن هذه الحادثة . وقد أمرت بغسل هيكل السيارة في نفس الوقت ، فقد كانت بحاجة إلى

ذلك .

بذلت جهدا خارقا لكي تبقى طليقة الوجه ، ولكي تتفادى على الخصوص - وبأي ثمن - أن يخمن أبوها مشاعرها .

نهض 'جوش' وقال :

- يجب أن أنصرف . سامر لرؤيتكما قريبا ..

بقيت 'برو' ، بعد انصرافه وعيناها في الفراغ ، فسرعان ما افتقدت وجوده وراعتها هذه الفكرة . كيف حدث أن تقع في مثل هذه الحالة من التبعية فلتتمالك نفسها سريعا ، قبل أن يفوت الأوان .

ناداها 'جيم اللارديس' بصوت رقيق :

- 'برو' ... فكرت في شيء توجد هنا أكوام من الأوراق والمستندات لا تنتظر إلا الترتيب و التبويب ، فهل يضايقك أن تساعدينني ، ليس لدي من الوقت ما يسمح لي بذلك و...

فهقهقت 'برو' ونظرت إلى أبيها في حنان وقالت :

- بكل سرور . ما رايك لو أبدا من الآن ؟

تنهد أبوها في ارتياح وقال :

- إن هذا ليكون عظيما .

واتجها إلى المكتب . لم يبالي أبوها ، فقد رأت فوق المنضدة أكاداسا من الفواتير والرسائل والنشرات الحكومية . وتأكدت من ذلك أنه لم يخلق تلك الحجة لاحتجازها ، وأنه بحاجة ماسة إليها حقا ... إنه يحتاج إلى سكرتيرة ماهرة ، وما كان ليجد أحسن منها .

- لا تقلق . ساهتم بكل شيء .

وانشغلت في الأيام التالية بترتيب الأوراق وبتوبيبها . وكان واضحا أن تلك الأوراق قد تراكمت منذ شهور طويلة . وأمام كل ذلك السيل من الخطابات التي ظلت بدون رد ، والفواتير التي لم تسدد ، والديون التي لم يتم تحصيلها ، تساءلت 'برو' كيف استطاع أبوها أن يكون بهذا الإهمال . وتمكنت في بضعة أيام من تنظيم دفاتر الحسابات و الخطابات .

ومضى أكثر من أسبوع دون أن يصل أي نبا عن الهاربين . وكانت أيام 'برو' حافلة بالعمل بين المكتب و المطبخ وأعمال المزرعة .

وذات يوم ، بينما كانت تعد طبقا من اللحم المكور لابيها دخل
'جوش' كالإعصار ، وما إن وقع بصرها عليه حتى وثب قلبها بين
ضلوعها . اوه ، اهذا انت !

كان البيت خاليا ، واحست بالذعر يستولي عليها فجأة . وقالت :

- ابي في الحقول ... ستجده بسهولة في ...

- إنما اتيت لكي اتحدث إليك انت .

عضت شفثيها وتمتمت :

- تحدثني انا ؟

- نعم . تلقينا خطابا صباح اليوم .

- اوه .

ركزت كل اهتمامها على اللحم الذي كانت تقطعه حتى تخفي
اضطرابها . ماذا سيكون رد فعلها إذا علمت أن 'كينسي' و'دافيد' قد
انفصلا ، وأن 'دافيد' يريد العودة ؟ ولكن لا . إنه لن يجرؤ على ذلك
على كل حال ، ومهما يكن من أمر فإنها لن تقبل أبدا .

- وإن ؟ ماذا يقولان ؟ وأين هما ؟

- إنهما تزوجا ، وسيطيران إلى 'أستراليا' الأسبوع المقبل .

تلقت صدمة . وافلتت السكين من اصابعها ، واصيبت بجرح .

وسال الدم على راحتها .

أسرع 'جوش' وأمسك بيدها قائلا

- أريني هذا .

سرت في كيانها رعشة بمجرد ملامسته لها ، واحتجت قائلة :

- ليس هذا بشيء خطير .

- إذا لم يكن خطيرا فلماذا ترتعشين كالورقة هكذا ؟

حاولت أن تحرر يدها . ولكنه . لم يتخل عنها ، وشد الضغط

بذراعيه القويتين على كتفيها :

- ماذا بهاك . لن تقري أخيرا بالواقع ؟ كلا . تفضلين غمامتك

الصغيرة التي تعشش فيها الأوهام عن الاعتراف بالحقيقة .

أفلتت دموع من عيني 'برو' غيمت على بصرها وقالت :

- لماذا تضايقني ؟ أهي غلطتي إذا كانت أخطك قد هربت مع خطيبي؟

- كلا . وإنما هي غلطتك إذا بكيت على مصيرك .

واحتضنها بشدة ، وضم شفثيه إلى شفثيها في قبلة محمومة وقال :

- سنازل أقبلك هكذا ما لم تعودني إلى علك .

كانت 'برو' تتنفس بالكاد ، وقد ازداد اضطرابها بحيث لم تستطع

مقاومته . واطبقت عينيها وانفرجت شفثاها قليلا ، وبادلته قبلته في

وجد ووله . وترك كتفها وهبط بيده حتى خصرها وطوقها في رفق .

والقت 'برو' بحركة تلقائية بذراعيها حول عنقه وتمتم 'جوش' وعيناه

نصف مطبقتين .

- متى تقرين بالواقع إذن ؟

قالت 'برو' وقد احست بأنها غلبت على أمرها :

- اواه يا 'جوش' .

- انت لا تحبين 'دافيد' . ولم تشعري نحوه بالحب أبدا .

- ولكنني كنت اعتقد ذلك .

أشرق وجه 'جوش' وسالها :

- والآن ؟

سطع بريق في عيني 'برو' ، تحت دموعها وقالت :

- أنا لست من النوع الذي يهوى المغامرات العابرة . عندما امنح

فيإخلاص وثبات .

قال 'جوش' في مرح :

- إنك أرحت بالي ، لأنني مثلك تماما .

- ولكن ... كلا حقا . فما إن رايتني منذ أول لحظة حتى حاولت

إغرائي ، وذلك رغم أنني كنت غريبة عليك .

- أبدا ، فقد عرفتك منذ مولدك حتى السنة التي بلغت فيها الثالثة

عشرة من عمرك ، وليس هذا بالشيء القليل .

- ولكن لم ير احد منا الآخر أبدا تقريبا ، فقد كنت أنت شابا يافعا

في حين أنني لم أكن إلا طفلة . ازداد البريق الماكر في عيني 'جوش'

حدة وقال إنك تنسين قبلتنا .

قطبت 'برو' حاجبيها وقالت :

- لا أدري عم تتكلم وقد سبق أن افصحت لك عن ذلك ؟

قهقهه 'جوش' وقال :

- هل تتذكرين حفلة عيد الميلاد التي اقمناها في تلك السنة ، ودعونا إليها كل اطفال الوادي ؟ اعددنا الكثير من الالعاب والفوازير ولعبة الاستخفاء .

فكرت 'برو' في حلمها الذي رآته اخيرا ، وهي محتفظة بكل هدونها وقالت :

- وكنت انا هناك ؟

- بالتأكيد يا حبيبتي . كنت فاتنة في ثوبك 'الأورجندي' الأبيض اميرة صغيرة حقيقية . كان كل من يراك يتأكد أنك ستصبحين جميلة جدا فيما بعد .

احست 'برو' بالارتياح . كانت تلك الحفلة اثبه بالحفلة التي رآتها في منامها بصورة غريبة ، واحمر وجهها خجلا ، ونظرت إلى 'جوش' في دهشة . وقطب هو جبينه ونظر إليها مستفهما وقال :

- هل تتذكرين ؟ ... لعبة الاستخفاء ؟

- كلا .

- كنت مختبئا في دواب بمخزن الغلال ، وانفتح الباب و ...

- اوه ...

ترنحت 'برو' ، وادنى 'جوش' يده من وجهها في رفق ، ودار بإصبعه على شفيتها وقال :

- نعم . كنت أنت ، وقد جذبك في الظلام وقبلتك .

وبينما كان 'جوش' يتكلم ، عاد ذلك المنظر الذي طرحته من ذاكرتها إلى الظهور في عقلها الباطن . واستطرد 'جوش' :

- ثم خرجت وانضمت إلى الآخرين الذين كانوا يجرون في الأروقة . اما انا فبقيت في الدواب وانا في شدة الحرج ، فقد تجاوزت سن العشرين من عمري ، في حين أنك كنت في الثالثة عشرة . فحسب ، ولم استطع أن افهم ما ألم بي .

ورفع ذقنها واجبرها على أن تنظر إليه وقال :

- هل تتذكرين ؟

كانت غارقة في افكارها واجابت :

- اجل . ولكنني اعتقد ان ما حدث في اليوم التالي هو الذي صدمني .

بدأت الحيرة على وجه 'جوش' وقال :

- اليوم التالي ؟ ... ولكنني لا اذكر ..

- ألمت بامي ازمة من الغيرة ، وراحت تصرخ بانها تكره ال كيللين ،

واحسست انا ...

أكمل 'جوش' عبارتها قائلا :

- احسست أنت بالذنب لأنك تركت واحدا من ال كيللين يقبلك .

وافقت قائلة :

- هذا غريب . لم تكن لدي أية ذكرى عن تلك الحفلة ، او عن قبيلتنا

حتى حدثتني أنت عنها . كأنني محوت طواعية تلك الواقعة من ذاكرتي ،

ولا ريب أنني كنت اخشى لوم امي لو حدثت وعرفت ، خصوصا وان ...

وامسكت 'برو' واخذت نفسا عميقا .

- خصوصا وان ...

واستطرد 'جوش' إزاء صمت 'برو' :

- خصوصا وان تلك القبلة قد راقت لك .

ابتسمت 'برو' ، ولكنها لم تشأ ان تزيد ، فقد قالت الكثير .

- اهذا هو السبب في عدوانيتك العنيفة نحو افراد أسرتي ،

ونحوي انا بالذات ؟

واظن ان تصرفي ضاعف تعصبك ، صفوة القول ، قمت انا بدور

اضرني فكرت 'برو' لحظة ثم قالت

- ربما . الواقع ان المرء يأتي بما يضره في أكثر الاوقات .

وراحت تفكر في حلمها من جديد . كان ذلك يقظة عقلها الباطن ،

والتكة التي جعلتها تعترف فيما بينها بحبها لـ 'جوش' ، وقد ردها

هذا الحلم إلى طفولتها ، كما لو كان الأمر صدمة ، كما لو أنها لم

تنتقل في الواقع إلى سن النضج . ولم يبدلها 'دافيد' كرفيق مثالي إلا

لأنه أيقظ فيها إحساسا بالذات . اوه ، إنها احبته كثيرا بالتأكيد ،

ولكن هذا الكثير يشكل الفرق ، والأمر مختلف مع 'جوش' ، فهي تحبه ،

والكلمة كافية في حد ذاتها .

وقطع 'جوش' أحلامها قائلا :

مهما يكن فاننا لم انس ابدا تلك اللحظة ، وقد ظلت هذه القبلة تطاربنى طوال كل هذه السنين . ولن اقول لك ان ذلك هو الذي منعني من الزواج حتى اليوم . ولكن ، رغم كل شيء ، كانت ذكرى تلك الفتاة الصغيرة الفاتنة الرقيقة تسيطر على كل لحظة من لحظات حياتي . وما من امرأة التقيت بها بعد ذلك استطاعت ان تمحو هذه الذكرى من ذهني . راحت 'برو' تتنفس بشدة من فرط انفعالها . وقال 'جوش' :
- انني احبك يا 'برو' .

نطق 'جوش' بهذه العبارة هامسا ، وانتظر ريثما . واحست 'برو' ، في معركة اخيرة بين الخوف والحب ؛ بقلبها يقفز بين ضلوعها ، ولكن جاءت الكلمات بين شفثيها بتلقائية فقالت :
- وانا ايضا احبك ..

اطبق 'جوش' عينيه نصف إطباقه وهو يتنوق تلك اللحظة الساحرة التي اعترفت له حبيبته فيها اخيرا بالحقيقة . ثم نظر إليها في وجد لم يستطع إخفاءه بحيث ظنت ان قلبها سينفجر ، واحنى راسه ، وطبع على شفثيها قبلة بادلته إياها بكل الحرارة التي ظلت تغالبها طويلا . وعقدت النية على الاتكبت بعد الان قوة حبها للرجل ذي الثياب السوداء .

(تمت بحمد الله)